

الفصل الثاني عشر

الآداب

تشمل الأعمال النموذجية للآداب البابلي والآشوري بعض المواضيع مثل التنبؤات، والأناشيد والحواليات الملكية والنقوش على الأبنية والنصوص الطبية والكيماوية والإنسانية فضلاً عن الموضوعات التي تخص الأساطير والملاحم، وإن لكل هذه الأسماء ما يبررها نظراً لأنه (وباستثناء الأساطير والملاحم وبعض نصوص الحكمة) لم يكن في المفاهيم القديمة أية فئة من النصوص تقابل موضوع الأدب في المعاني الضيقة المستعملة في هذه الأيام. ولكن من المناسب أن نميز هذه الأعمال التي من الممكن دعوتها بالآداب طبقاً لتصنيفاتنا الحديثة. ولكن ينبغي أن نوضح أنه مع أن هذه النصوص قد اعتبرت أفضل النصوص المسمارية المعروفة، إلا أنها ومن جهة نوعية لا تشكل إلا كسراً صغيرة من جميع الكتابات المسمارية الموجودة، ولم تُبذل أية محاولة للتمييز ما بين الأدب السومري والأكادي وبالنسبة للمعنى المحدد لكلمة أدب فإن أعظم وأطول عمل أكادي هو ملحمة جلجامش التي تدعى باللغة الأكادية (الشخص الذي رأى الشيء العميق) وقد عُرف هذا الاسم من البقايا الموجودة في مكتبة آشور بانيبال في نينوى ولكن لقد بقيت نُتف من مواقع أخرى ومن فترات زمنية أقدم لتدلّ على أن هذا العمل بصفته ملحمة أكادية فإن تاريخه يعود إلى الفترة البابلية القديمة. وهناك بعض النُتف من بوغاز أكوي في تركيا تظهر أن هذا النص قد تُرجم إلى اللغة الحثية واللغة الحورية. ومن الممكن تقصي بعض عناصر هذا النص وإرجاعه إلى زمن أقدم من ذلك الزمن نظراً لأنه قد يثبت أن هناك حوالي أربع قصص منفصلة سومرية عدا عن الملحمة الأكادية وهي ملحمة جلجامش التي نظمها الشاعر الأكادي القديم بشكل مذهل وجعلها قصة موحدة وكان آخر الألواح الاثني عشر التي قسم إليها موضوع الملحمة الأكادية مع أنها كانت عبارة

عن ترجمة حرفية لقصيدة سومرية أخرى، إلا أنها لا تؤلف جزءاً من الإنشاء البابلي الأصلي القديم ولكن كانت إضافة ذميمة ألقت فيما بعد.

إن تلك القصة تدعى ملحمة أكثر منها أسطورة، نظراً لأن المشتركين الرئيسيين فيها هم عبارة عن البشر أكثر منهم آلهة وبموجب الاصطلاحات في علم الآثار فإن هذه القصة قد أتت من الفترة الأسرية القديمة الثانية عندما ظهرت التحصينات الأولى والأسوار في بابل. وقد كان جلجامش نفسه هو باني التحصينات في إيريش وقد وُصف بأن ثلثه إنسان وثلثيه إله وكانت والدته الإلهة نين سون وكان والده الكاهن الأعظم (أو الكاهن الملك) في كولا ب Kullab، وهذه الرواية تعكس قضية الزواج المقدس حيث كانت الكاهنة في المدينة تضاجع الإله، وكان الكاهن يضاجع الإلهة وذلك تأكيداً لخصوية الأرض وتأمين خصب السكان والحيوان في الدولة، وكان جلجامش نفسه عين En أو كاهناً ملكاً.

وتبدأ الملحمة بتلخيص مختصر للمفاخر والأعمال البطولية لجلجامش وبعدها تنتقل إلى المشهد، فقد كان جلجامش ظالماً لإيريش وكان يسلب الابن من أبيه والفتاة من حبيبها ولقد سمع الآلهة شكوى السكان في إيريش فأرسلوا الآلهة أرورو Aruru كي تخلق منافساً لجلجامش. وهذا الشخص المنافس هو إينكي دو Enkidu وقد صنعه الآلهة أرورو من الصلصال ولقد كان رجلاً متوحشاً وهو من مخلوقات

كان جسمه مغطى بالشعر

وكانت خصلات الشعر على رأسه تنمو بغزارة وكأنها الشعر

ولم يكن ليعرف الناس ولا البلاد.

وكان يأكل العشب مع الغزلان

وكان قلبه يرغب بتناول الماء مع المخلوقات البرية المتوحشة.

ولقد اكتشف أحد الرعاة إنكيديو ولقد دُعر هذا الراعي عندما رأى أنكيديو وشكاه لوالده قائلاً إن هذا الرجل المتوحش كان يتلف له أفخاخه ويمنعه من الإمساك بالحيوانات البرية. ولذلك فقد نصحه والده أن يخبر جلجامش الذي أرسل إحدى بغايا المعبد لاصطياد ذلك الرجل المتوحش بسحرها:

دعوها تنزع ثيابها ودعوها تضطجع وتُظهر جمالها ووسامتها
فإنه سوف يراها ويقترّب منها.

وبعد أن فقد براءته وجد أنكيديو أن الحيوانات البرية لم تعد تقبله بينها.
وبعد ذلك فكت العاهرة القماش عن منطقة العانة وعورتها وفتحت ساقها
ولذلك فقد تمكن إنكيديو من مضاجعتها
ولم تُظهر أي تحفظ بل قبلت بحماسة
ثم خلعت ملابسها واضطجع أنكيديو فوقها
وقد أُلقت بسحرها على هذا الرجل المتوحش
وأما هو فقد استجاب لإغرائها

وظل مدة ستة أيام وسبع ليالٍ في مقاربة ومضاجعة هذه العاهرة
وبعد انتهاء شهر العسل تعب أنكيديو من هذه اللعبة واتجه مرة ثانية لغزلانه
ولكن هذه الغزلان أوجست خيفة منه وهربت. والآن لم يعد أنكيديو قادراً على
الركض واللاحق بالغزلان رجع إلى العاهرة التي خاضبته وهو جالس تحت قدميها:
يا أنكيديو تركض مع وحوش الغابة
دعني أوصلك إلى إيريش

ولهذا فقد قبل أنكيديو عرضها وهكذا قدّمته للحضارة حيث تعلم لأول مرة أن
يأكل الطعام الطبيعي الذي كانت تأكله البشر.

لقد كان معتاداً أن يمتص الحليب من الحيوانات البرية

وعندما وُضع الخبز أمامه شعر بالعجب فقد نظر وحقق

إذ لم يكن أنكيديو يعلم شيئاً عن تناول الخبز ولم يكن قد تعلّم شراب المواد

الكحولية

ومع ذلك فقد وثق بهذه المرأة فأكل وشرب حتى شعر بالسرور وهو يدخل إلى قلبه والتمتع وجهه وبعد ذلك وبدلاً من أن يظل رجلاً عارياً، فقد ألبس نفسه واستعمل العطور كإنسان عادي. وأخذ في مساعدة الرعاة في حماية قطعان الماشية. وقد استمر الحال على هذا المنوال حتى أتاها رسول يدعوها للذهاب إلى إيريش لحضور عيد الزواج المقدس الذي كان جلجامش يقوم فيه بإخصاب آلهة القضاء والقدر وحالما وصل أنكيديو إلى المدينة تعرّف عليه الشعب المجتمع واعتبروه نبأً لجلجامش وهكذا نشأت المبارزة بين البطلين

وعند بوابة المبارزة ما بين جلجامش وأنكيديو تصارعا حتى ارتجفت الجدران وتصور الأختام الأسطوانية هذه المبارزة التي لم يكن غرضها إلقاء الخصم على الأرض بل أن ترتفع قدماه فوق سطح الأرض وأخيراً كان أنكيديو هو الخاسر.

كان جلجامش هو الذي مال إلى الخلف ولكن قدمه لازالت على الأرض

وعندها قهر جلجامش منافسه، إلا أنه لم يحقق عليه وأصبح البطلان صديقين حقيقيين. وبعدها قاما بحملة معاً ضد أحد الغيلان وهو حارس غابة الأرز ويدعى هواوا وكان صوته يشبه صوت العاصفة وفمه كفم إله النار ونفسه هو الموت وكان قوياً لم يَنَم. وهكذا انطلق الصديقان وقد سلّحا نفسيهما بالفؤوس الكبيرة والخناجر الثقيلة رغم نصائح الشيوخ في إيريش وتوقعها إلى غابة الأرز، وقد وضع جلجامش نفسه تحت حماية إله الشمس (شمش) وعند وصولهما إلى غابة الأرز اعترى جلجامش شيء من الخوف ولكن صديقه شجعه وكذلك شجعتة الأحلام التي أرسلتها الآلهة إليه:

لقد ركز جلجامش ذهنه على ركبته

وهكذا نزل عليه النوم الذي كان ينصبّ على البشر

وبعد نصف ساعة أنهى نومه

ونهمض وتكلم مع صديقه قائلاً

يا صديقي إنك لم تكلمني ومع ذلك فإنني قد نهضت

وإنك لم تلمسني ومع ذلك فإنني أشعر بالنشاط

ولم يصادف أن مرّ أحد الآلهة بجانبه ومع ذلك فإن أطرافه مشلولة

يا صديقي إنني قد رأيت حلمًا ثالثًا

وكان الحلم الذي رأيته مشوشاً.

ولقد وصف الحلمين السابقين، وقد فقد الحلم الأول بالنسبة لنا. أما الحلم الثاني فهو أن جبلاً قد سقط وأوقع جلعامش في الفخ من قدميه، ولكن صادف أن ظهر رجل ذو جمال عظيم عمل على إنقاذه فجذبه وأخرجه من أسفل ذلك الجبل. وأعطاه ماءً ليشرب أما الحلم الثالث المريع فقد رواه جلعامش لصاحبه:

ولقد انتصب الجبل قوياً وهادئاً وساد الظلام في أرجائه

والتمتع البرق وحدث الحريق

وأمطرت الدنيا موتاً

وتحوّل كل من يسقط إلى رماد

أصغى أنكيديو لصديقه وأقنعه أن يُبعد الفأل السيئ عن نفسه وأن يستمر في مغامرته وبعد ذلك تقدم جلعامش ليقطع شجرة من شجرات الأرز، وهكذا اقترب من مجال رؤية الوحش هواوا. ولقد هاجم جلعامش الوحش بعد أن أعانه إله الشمس الذي أرسل إلى الوحش ثمانية من الرياح فأصبح غير قادر على المقاومة، وهكذا فقد عرض التسليم ولكن أصرّ أنكيديو على قتل الوحش.

وهكذا رجع جلجامش منتصراً إلى إيريش وغسل خصلات شعره المسترسلة
ولبس أحسن الملابس وخصوصاً غطاء الرأس. وعندما رأته الآلهة عشتار في ذروة
جماله قدّمت نفسها له فقد كانت هي آلهة الحب والخصب.

أرجو أن تهنيئني ثمارك

وأن تصبح زوجي وأصبح أنا زوجتك

ولسوف أهيك عربة من اللازورد والذهب

وسوف تكون عجلات العربة من الذهب والحجارة الكريمة

وسوف تستخدم الرياح والعواصف لتسوق تلك العربة بدلاً من الخيول والبغال

إن السهوب والأراضي سوف تقدم لك الجزية

وسوف تلد الماعز لك ثلاثة مواليد والأغنام مولودين

وسوف يستطيع حمار الجر التابع لك أن يسبق الحمار الوحشي في سيره

وسوف تسبق خيول عرياتك جميع الخيول المشهورة

ولهذا فقد رفض جلجامش الشرف الذي عرضته عليه الآلهة بوقاحة وأخذ يحط

من قدرها بهذا الشكل

إنك كالباب الخلفي الذي لا يمنع الرياح أو التيارات الهوائية.

وإنك كالزفت الذي يوسخ الرجل الذي يحمله

وإنك مثل زق الماء الذي يرشح فوق الرجل الذي يحمله

وإنك مثل الحذاء الذي يرميه صاحبه إلى الأسفل

وقد أشار إلى تقلباتها قائلاً:

من هو العاشق الذي أحببته بشكل دائم؟

تعالني إنني سوف أعد عشاقك

أما تموز الذي كان يعشقك أيام الشباب
فلقد سببت له البكاء المتكرر عاماً بعد عام
ولقد كنت تحبين طائر الألالو
ومع ذلك فقد ضربت هذا الطائر وكسرت جناحه
وهو واقف في الغابات صارخاً: آه يا جناحي
وقد اعتدت أن تحبي الأسد ذا القوة الشديدة
ومع ذلك فقد حفرت له الحفر التي لا تُعد ولا تحصى
وكنت تحبين الحصان المشهور في المعارك
ومع ذلك فقد حضرت له السوط والمهماز
وكنت تحبين راعي المواشي والقطيع
الذي كان يكوّم الكعك أمامك
وكان يذبح الأغنام لأجلك
ومع ذلك فلقد ضربته وحوّته إلى ذئب
بحيث أصبح شباب الراعاة يطارّدونه
ولكنه أصبح يعوي كلما رآه
وبعد ذلك يقول جليجامش:

إنك تريد أن تحبيني ولكن مصيري سوف يكون كمصير هؤلاء

وعندما سمعت عشتار هذا الكلام أسرعرت إلى والدها أنو طالبة مساعدته
للانتقام للإهانات التي سمعتها. وتحت ضغط عشتار خلق أنو العجل السماوي الذي
نزل إلى النهر لمعاقبة جليجامش وبعد أن قتل المئة شخص الأوائل الذين صادفهم هجم
العجل على أنكيديو ولكن

قفز أنكيدو وأمسك بالعجل السماوي من قرنيه

وأمسك بذنبه

وبعد ذلك أغمد جلجامش خنجره ما بين عنق العجل وقرنيه.

ولذلك عندما قتلا العجل السماوي. أخرجوا قلبه ووضعاه أمام شمش، وكإهانة
أخيرة لعشتار نزع جلجامش عظمة الفخذ (ربما كنا به عن الأعضاء الجنسية)
للعجل المقدس ورمأها على الآلهة بازدراء

وأما لو استطعت أن أصل إليك

فإنني سوف أضع ما صنعتك بك

وتلا ذلك فترة من السرور والحبور

وفي تلك الليلة رأى أنكيدو حلمًا تلاه على جلجامش

لقد اجتمع أنو وإنليل وشمش معاً وبدأوا يتشاورون

وقال أنو لإنليل

إنه وبسبب قتلتهما العجل المقدس وقتل هواوا

فإن أحدهما ينبغي أن يموت

ولا ينبغي أن يموت جلجامش

ولكن شمش أجاب إنليل البطل

ألم تقتلا العجل المقدس وهواوا بناءً على أوامري

وهل ينبغي أن يموت أنكيدو البريء بسبب ذلك

ولكن إنليل غضب من شمش

وكان ينبغي تنفيذ قرار أنو وإنليل

ولهذا فقد مرض أنكيدو ووصل إلى درجة الموت مما سبب الحزن العظيم
لجلجامش

لقد اضطجع أنكيدو على فراش الموت أمام جلجامش
وحالما سالت دموعه صاح

يا أخي - يا أخي العزيز لماذا برؤوني أنا بدلاً منك

هل يجوز أن لا أرى أخي العزيز مرة ثانية بعيني

وهكذا فقد عبّر أنكيدو عن أسفه لتلك النهاية التي سوف ينتهي بها وأصبح
يكيل اللعنات على بوابة إيريش والصياد والموسم ولكن عندما بدأ جلجامش في
تعداد محاسن الحياة المدنية وطقوس الدفن الرائعة في المجتمع المتحضر هداً أنكيدو
وحوّل لعناته إلى بركات تصيب تلك الموسم.

إن الأمراء والملوك والنبلاء سوف يحبونك

لأنك أنت الرجل التام الرجولة سوف تهجر بيته

ولأجلك سوف يُرخى حزامه

وسوف يهبك اللازورد والذهب

وبسبب حبك سوف يهجر الزوج زوجته الأولى والدة السبعة أطفال.

وهنا رأى أنكيدو مناماً أخيراً عن حالة ساكني العالم السفلي وبعد ذلك وبعد
بقائه على فراش المرض لمدة سبعة أيام توفي ولهذا بدأ جلجامش يندب حظ صديقه.

والآن ما هو النوم الذي أَلَمَّ بك؟

لقد أصبحت سبباً لخوفي لأنك لا تسمعني

ومع ذلك فلم يستطع جلجامش أن يوجه عينيه عنه

وقد لمس قلبه ولما لم ينبض قلبه، لذلك فقط غطى وجهه بوشاح كالعروس

وأصبح يصرخ كالأسد

واللبوة التي خسرت أشبالها

وظل ملتفتاً نحو صديقه

ولكن خوف الموت استولى على عقل جلجامش

بدأ جلجامش بالجري في أراضي تلك السهوب

وهو يبكي بمرارة على صديقه أنكيكو

إنني سوف أموت بنفسي، فهل سوف أصبح مثل أنكيكو

لقد تطرق الحزن إلى داخلي

إنني أخشى الموت وإنني وحيد في تلك السهوب

وأنا أريد أن أذهب واتخذ ممر أونابشتيم (نوح) ابن أدبار توتو وجهتي

ولسوف أذهب إلى هناك بالسرعة الممكنة

وهكذا ذهب جلجامش لاستشارة سلفه أونابشتيم الرجل الذي لن يصيبه الموت.

مرّ بجبل ماشو في نهاية العالم والذي كانت الشمس تمر فوقه صباحاً ومساءً وهنا وجد ما يلي:

وجد شعب العقارب الذين يمارسون المراقبة ليلاً ونهاراً على بوابته

والذين كان نورهم وبهاؤهم يسبب الذعر وإن أية نظرة على أحدهم تسبب الموت

والذين تنتشر أصواتهم فوق الجبال الكونية

والذي عند شروق الشمس وغروبها تقف حارساً فوق الشمس.

ولكن شعب العقرب اعترفوا بجلجامش بصفته ثلثي مقدس أو إلهي وهكذا

سمحوا له بالمرور خلال بوابة الجبل لكي يتبع ممر الشمس عندما تختفي عن

الأنظار في الأرض وقد سافر خلال الظلام مسافة أحد عشر فرسخاً حتى ظهرت

الأشعة الأولى من أشعة الشمس وفي الحال ساد النور فوجد جلجامش نفسه في حديقة تحمل أشجارها الحجارة الثمينة وهنا تكلم مع إله الشمس الرحيم الذي حذر بهما يلي قائلًا:

ما هو هدفك من هذا التجوال يا جلجامش

إنك سوف لا تحب تلك الحياة التي تتوق إليها

استأنف جلجامش رحلته وتقدم في طريقه فوصل إلى مسكن السيدة سيدوري صاحبة الفندق وكانت تعيش على طرف الهاوية وعندها تطلعت هذه السيدة فرأت جلجامش آتياً

كان لابساً الجلود

مع أنه يحمل في جسمه لحوم الآلهة

هناك كان الحزن بادياً في داخله

وتدل هيئة وجهه وكأنه شخص قد مشى طويلاً من أمكنة بعيدة

ولكن سيدوري شعرت بالانزعاج لدى رؤيتها رجلاً غريباً

لقد بدأت تفكر بنفسها

ربما كان هذا الرجل سوف يغتصبني

وعندما رآته أغلقت الباب

وبعدها أغلقت الباب الخارجي وأنزلت المزلج

ولكن جلجامش هدهدها بأنه سوف يحطم الباب والبوابة ولكن ويعد أن فسر لها جلجامش غايته ، قامت باستقباله وعندها روى لها جلجامش مغامراته فسألتها سيدوري:

إذا كنت قد فعلت كل هذه الأعمال

لماذا يظهر الحزن على وجهك؟ ولماذا أصبحت ملامحك ...

ولماذا يظهر الحزن في داخلك؟

عندها أخبرها جلجامش عن حزنه لخسارة صديقه وكيف أنه رفض مواجهة حقيقة موته حتى أصبحت الديدان تزحف على وجهه وأخبرها عن خوفه عند تفكيره بالموت وعن عزمه على استشارة أونابشتم وقال: أخبريني كيف يمكنني الوصول إلى أونابشتم

فإذا كان ذلك ممكناً فإنني سوف أعبّر فوق الهاوية

وإذا كان ذلك غير ممكن فإنني سوف أتجول في البراري والسهوب

وعندها قالت سيدوري لجلجامش:

ليس هناك مجال للعبور يا جلجامش في أي زمان من الأزمان

وإن أي شخص ومنذ أقدم الأزمنة قد وصل إلى ذلك المكان فهو لا يستطيع

عبور الهاوية

ولا يستطيع عبور الهاوية سوى إله الشمس العظيم ولكن من يستطيع عبورها

سوى إله الشمس

إن العبور مُتعب والطريق متعبة

ومع ذلك فقد أخبرت سيدوري جلجامش عن مكان وجود أونابشتم الرجل الذي كان ينقل الناس عبر النهر في مركب أو معدية وأخبره عن وجود مستودع مملوء ببعض الأشياء الغامضة التي تدعى الأشياء المصنوعة من الحجر؟ وبعدها يذهب جلجامش ويجد أونابشتم ويخبره عن رحلته غير العادية ويخبره أونابشتم أنه نظراً لأنه قد حطم بعض الأشياء المصنوعة من الحجر والتي كان لها تأثير سحري بحيث تساعد حاملها على عبور مياه الموت وذلك مما جعل وصوله إلى غرضه محفوفاً بالصعوبات ومع ذلك قال له أونابشتم:

انزل إلى الغابة واقطع أغصاناً تشبه الأعمدة طول الواحد منها ثلاثين ياردة

ثم ادهن هذه الأعمدة بالتيامين واجلبها لي.

وهكذا فقد نفذ جلجامش هذه التعليمات ثم أنه نزل إلى القارب الذي أسرع بسرعة خيالية تبلغ خمسة عشر ضعفاً من السرعة العادية، وهكذا وصلاً إلى مياه الموت، حيث أمر أرشاناي جلجامش أن يستعمل الأعمدة كمجاديف يستعملها في القارب الذي سوف ينقلهم عبر مياه الموت، وقد كانت التعليمات تقضي بأن لا تمس مياه الموت يدي جلجامش وينبغي أن يستعمل كل عمود أثناء تجديفه في مياه الموت، وأخيراً فقد استهلك جلجامش الأعمدة المئة والعشرين التي كان قد جلبها معه من الخارج والآن لقد أصبحا على مرمى النظر من الشاطئ الآخر حيث بدأ أونابشتيم بالرقابة باستغراب.

ينظر أونابشتيم إلى الأمام وإلى مسافة طويلة

وهو يفكر بنفسه وبعدها يُعلق على الأحداث

حالما كان يتشاور مع نفسه

لماذا حطمت الأدوات المصنوعة من الحجر.

ولماذا يركب القارب شخص غير صاحب القارب

إن الرجل الآتي ليس هو من رجالي

وأخيراً وصل جلجامش وفسّر لأونابشتيم طبيعة مهمته فأجابه أونابشتيم مشيراً إلى

تفاهة الأنشطة البشرية وتفاهة الطبيعة وقال:

هل نحن نبني البيت حتى نعيش إلى الأبد؟

وهل نحن نختم الوثائق ونظل نختمها إلى الأبد؟

هل يقسم الأخوة أملاكهم بحيث يظل التقسيم سارياً إلى الأبد؟

هل تستمر كراهية العدو إلى الأبد؟

هل يحدث الطوفان في النهر ويظل ذلك إلى الأبد؟

لقد اجتمع الأنوناكي وهم الآلهة العظام

وقرروا شؤون الحياة والموت

ولكنهم لم يكشفوا وقت الموت

لم يقتنع جلجامش فقد أشار لأونابشتيم أن أونابشتيم لا يختلف عنه في طبيعته ومع ذلك، فإنه يستطيع الاستلقاء براحة دون القلق المزعج عند التفكير بالموت ثم سأله كيف استطعت أن تكتسب هذه الحياة الأبدية؟ وعند الإجابة روى له أونابشتيم قصة الطوفان

سوف أكشف لك يا جلجامش سرّاً من الأسرار

نعم سوف أخبرك سرّاً من أسرار الآلهة

هناك مدينة شوريياك تعرفها أنت نفسك

كانت تلك المدينة متوضعة على ضفاف نهر الفرات

كانت تلك المدينة قديمة وكان الآلهة يسكنون داخلها

ولقد شعر الآلهة العظام أنهم مساقون لعمل الطوفان

وهنا يُعدد أسماء الآلهة العظام وبينهم كان الإله الحكيم والكريم أيا ويدعى نين - إيجي - كو أي سيد العين اللامعة أي السيد الذكي الذي عرف حماقة التي سوف تتسبب في فناء الإنسانية جميعها وقد اقترح هذا الإله الذكي استراتيجية يمكن بواسطتها ودون كسر هيبة الآلهة فإنه يستطيع أن يُنذر أحد الرجال من بني البشر من الموهوبين والمرضى عنهم:

إنه يكرر كلماتهم الموجهة إلى الكوخ المصنوع من القصب

أيها الكوخ القسبي أيها الكوخ القسبي الجدار، الجدار

أيها الكوخ القسبي اسمع أيها الجدار انتبه

أيها الرجل من شوريياك ابن أويار توتو

اهدم بيتك، وابن سفينة

اترك بضاعتك وأغراضك وأنجُ بحياتك

وأخبر كل كائن حي أن يصعد إلى السفينة

وعندما فهم أونايشتم تعليماته، وعد أن يطيع أيا ولكنه كان مهتماً بأن يفهم الرجال الآخرين في المدينة بنيته وما سوف يفعل. ولكن أيا الذكي علمه جواباً يخدم به أولئك الذين يسمعون دون أن يتورط أونايشتم بقول أية كذبة فعلية فكان عليه أن يقول:

لقد علمت أن إنليل يكرهني

ولهذا فلا أستطيع الاستمرار بالمعيشة في مدينتكم

بل علي أن أنزل إلى الهاوية وأعيش مع سيدي أيا

وعندما أذهب فإن إنليل سوف يصبّ عليكم وابلاً من مطر الكيياتي

إن كلمة كيياتي غامضة فهي تعني إما القمح أو المصيبة العظيمة.

وهنا يبدأ بوصف السفينة بالتفصيل فقد كان قارباً مرموقاً مبنياً بسبع طبقات أما مساحة القاعدة فتبلغ فداناً وكان ارتفاع القارب مساوياً لطول أحد جانبيه ولهذا فقد ظن بعضهم أن شكل القارب كان مخروطياً ولكن هذا ليس استنتاجاً ضرورياً ذلك لأنه ربما كان ظهر المركب مدرجاً وبذلك يظهر القارب في أبعاده والحالة هذه أقرب إلى شكل الزقورة العائمة. ولقد عمل العمال دون راحة حتى انتهى العمل وبعدها حمل أونايشتم السفينة بالفضة والذهب والدواجن والمواشي ثم أنزل عائلته وما يرتبط بها والمخلوقات البرية والحرفيين وبعد أن أنذره إله الشمس نزل إلى السفينة بنفسه وتفقدوها وبعدها سلم إدارة السفينة لبوزور أموري وهو ربان السفينة

وفي الصباح بدأت العاصفة

وعندها ارتفعت من الأفق غمامة سوداء

وكان حدد إله العواصف يزمر داخلها
 وقد سبقه الإلهان شولات وحانيش
 وقد أتيا للنداء فوق التلال والوديان
 وعمد ايراغال (وهو نيرغال إله العالم السفلي) إلى هدم
 أعمدة السد الذي يمنع المياه تحت الأرض
 ويعدّها أتى نينورتا وسمح للسدود أن تتساب مياهها
 ورفعت الأنوناكي مشاعلها
 فلمعت الأرض وتوهجت بفعل تلك المشاعل
 وتلا ذلك حلول الظلام وأصبح الظلام مخيفاً لدرجة أنه
 حتى الآلهة بدأت تخاف من هذا الطوفان
 لذلك انسحبوا وصعدوا إلى سماء آنو
 وقد تجمع الآلهة كالكلاب وقبعوا في الزوايا
 وبدأت عشتار تبكي وكأنها امرأة في حالة المخاض
 وبدأت سيدة الآلهة الحلوة بالصراخ
 لقد تحول البشر القدماء إلى صلصال
 وذلك لأنني أنا الذي قضيت حول الشرور في المجمع الإلهي
 وكيف قضيت بالشر في المجمع الإلهي
 هل لكي أييد شعبي؟
 والآن هم يملأون البحر كالسمك المعد للقلي
 ولكن الآلهة أي أنوناكي بدأوا بالبكاء معها

ولقد شعر الآلهة بالذل فجلسوا وهم يذرفون الدموع

وبعد سبعة أيام هدأت العاصفة واستطاع أونابشتم أن يخرج ليطلع على ما حدث من خراب فقد كان حوله ومن جميع الجهات الماء والبحر وبعد ذلك ظهرت بعض الجزر وكانت هي قمم الجبال وعلى قمة أحد هذه الجبال وهو جبل نييررست السفينة. وبعد سبعة أيام وحالما خفت حدة المياه أرسل أونابشتم حمامة ولكن الحمامة لم تجد مكاناً ترتاح فيه فرجعت وبعد ذلك أطلق طائر السنونو ولكن هذا الطائر لم يجد مكاناً للراحة فرجع وأخيراً أطلق غراباً وهنا رأى أن الحياة قد رجعت إلى مستواها الطبيعي وقد رأى أونابشتم أن الغراب

كان يأكل ويطير هنا وهناك ويصرخ ولم يرجع

ولهذا استطاع أونابشتم أن يطلق سراح كل من كان في السفينة واستعد لذبح أضحية للآلهة الرابضة على قمة الجبل وقد اشتهم الآلهة رائحة عطر الغابات. وتجمع الآلهة كالذباب حول السيد الذي ذبح الذبائح.

وبعدها وصلت عشتار وهي لا تزال تتدب حماقة هذا العمل الذي أدى إلى تخريب شامل وقد تبعها الإله إنليل الذي أظهر غضبه نظراً لأن قراره لم ينفذ كما يجب.

رأى إنليل السفينة وكان في غاية الغضب

وقد امتلأ غضباً من الآلهة في الأعلى

فهل نجا أي مخلوق حي من هذا الطوفان؟ إذ لا يفترض أن يكون أي شخص من البشر قد نجا وهنا تكلم ابن نينورتا مع والده وسأله قائلاً:

من يستطيع أن يقوم بأي عمل دون آيا؟

وذلك لأن آيا يفهم جميع ما هناك من أعمال

وعندها خاطب آيا إنليل بلهجة قاسية مشيراً إلى أن كلا الظلم والجهل هما سبب هذا الخراب الذي حل في العالم ككل:

على المذنب يقع الذنب وعلى المعتدي يقع الاعتداء

إذ بدلاً من صنع الطوفان دعوا أسداً يأتي ويقتص من البشرية

وبدلاً من صنع الطوفان دعوا ذئباً يأتي ويقتص من البشرية

وبدلاً من صنع الطوفان أطلقوا المجاعة ودعوها تقتص من البشرية

وبدلاً من صنع الطوفان دعوا الطاعون يأتي ويضرب البشرية

وعندما سمع إنليل كلام الإله الحكيم هداً غضبه، وصعد إلى السفينة وأخذ بيد أونابشتم وأمر أونابشتم زوجته بالانحناء والسجود وعلامة الخضوع والرضا وقد لمس جبهتها ووقف بين هذين الزوجين وباركهما:

لقد كان أونابشتم من بني البشر سابقاً

أما الآن فقد أصبح أونابشتم زوجته من الآلهة حقاً مثلنا

ولسوف يسكن أونابشتم بعيداً عن مصب الأنهار

وهكذا انتهت قصة الطوفان التي خدمت بالتأكيد الموقف الفريد والحظ السعيد لأونابشتم وزوجته إذ لم يكن لجلامش يتوقع مثل هذا الخلاص لبني البشر:

من يستطيع أن يجمع الآلهة على حسابك الشخصي

بحيث تستطيع أن تجد الحياة التي تروق لك والتي تبحث عنها؟

ولكي نؤكد كيف كان لجلامش مستخفاً بالبشرية، فقد تحدّاه أونابشتم أن يبقى مستيقظاً ستة أيام وسبع ليال. ولكن سرعان ما داعب النوم جفنيه بعد أن جلس القرفصاء هناك.

لقد هبط النوم عليه وكأنه غمامة

ولكن زوجة أونابشتم أشفقت على البطل الثعب وحشت زوجها أن يوقظه حتى يستطيع أن يعود بسلام إلى إيريش ولكن أونابشتم كان قد خطط أن يوضح لجلامش تفاهته فقال:

إن البشرية غشاشة، إنه سوف يسعى لأن يفسك

تعالى واخبزي له إعاشته من الخبز وضعي الخبز فوق رأسه

وبعد ذلك اكتبى على الجدار عدد الأيام التي نامها

ولقد فعلت ذلك يوماً بعد يوم وبعد سبعة أيام نهض جلجامش بعد أن أيقظته

أونابشتم وبسرعة اعتذر وقال إنه قد أصابته غفوة

لم يكد النوم يتملكني

حتى أتيت أنت ولمستني ثم أيقظتني

وبعد ذلك أمره أونابشتم

يا جلجامش أرجوك أن تعد أرغفة الخبز

وهكذا سوف تعرف عدد الأيام التي قد نمتَ فيها

وهنا أصاب القنوط جلجامش وفعل ذلك فوجد أن مقادير الخبز كانت تتدرج من الخبز المخبوز حديثاً إلى الخبز الذي أصبح حامضاً ومتلبداً والخبز الذي أصبح جافاً بعد أن ظل معرضاً لأشعة الشمس مدة أسبوع كامل. ولذلك اعترف أنه قد سقط في الامتحان وقد قبل الموت مصيراً له.

إن القناص هو الذي أمسك بلحمي

والموت يجلس في حجرة نومي

وحيثما أضع قدمي أجد الموت قبالي

وعندها أعد أونابشتم جلجامش للرحيل إلى مدينته

وقد أوعز إلى أوشانابي أن يغسل جسمه وأن يزيل الجلود الفاسدة التي كان يرتديها ويلبسه ملابس فاخرة جديدة، وأن يضع عمامة جديدة على رأسه وحالما كان جلجامش وأورشانابي يستعدان للرحلة إذا بزوجة أونابشتم تقنع زوجها أن يقدم لجلجامش مكافأة على قيامه بتلك الرحلة المتعبة وهكذا أشار أونابشتم على

جلجامش أن يحصل على نبات سحري فيه أشواك وهو موجود تحت البحر ويدعى النبات الذي يبذل الشيخ إلى شاب. وهكذا فقد ربط جلجامش بعض الحجارة في قدميه وغطس في البحر حيث حصل على النبات رغم وجود الأشواك، وبعد أن أزال الحجارة من قدميه رَمَتْهُ الأمواج على أحد الشواطئ حيث التحق به أورشانابي وقد مشيا مسافة خمسين فرسخاً ثم توقف لقضاء الليل عندها :

رأى جلجامش بركة كانت مياهها باردة

فنزل إلى البركة واستحم بمياهها

ولقد اشتمت إحدى الأفاعي رائحة النبات

فخرجت وأخذت النبات

وهكذا فقد استبدلت جلدها بجلد جديد

عندما وجد جلجامش أنه قد خسر النبات الذي أتعب نفسه في الحصول عليه جلس وأجهش بالبكاء. إذ إنه لم يستطع أن يحصل على أية فائدة لنفسه. فالثعبان الذي سماه جلجامش أسد الأرض قد كسب تلك المكافأة التي كانت سوف تجدد شبابه وريح جائزة تغيير جلده كل عام.

وصل جلجامش وأورشانابي إلى إيريش فارغي اليدين. وقد أظهر جلجامش عظمة تلك المدينة لمرافقه ودليله. وكانت المدينة نفسها مؤلفة من ثلاثة أجزاء وهي المنطقة المسكونة ثم أراضي البساتين ثم الحقول الفضاء. فضلاً عن الأراضي التي كانت تخص معبد الإلهة الحامية عشتار وكان إظهار التحصينات التي أقامها جلجامش في تلك المدينة هو ما بقي له من عزاء.

ولقد أظهر الأستاذ سن كرامير Kramir أن هناك عدداً من القصص الأكادية تكمن تحت ملحمة جلجامش في شكلها الأكادي القديم، وبالإضافة إلى ذلك هناك عدة ملاحم أخرى باللغة الأكادية لها علاقة ظاهرة بملحمة جلجامش سواء في الموضوع أو المحتوى. وهكذا فإن الملحمة المعروفة لنا باسم أنراحاميس

Atrahasis وللبابليين باسم أنيومما - إيلو - أويليوم الموجودة في النقف من الألواح المسمارية في بابل القديمة وآشور الحديثة إنما تتركز حول قصة الطوفان وهي مدونة في ثلاثة ألواح واللوح الأول لم يكتشف مضمونه بعد وهذه الملحمة تعطي معلومات أوفى حول قصة الطوفان في ملحمة جلجامش نظراً لأنها توضح تماماً الغرض من قرار إنليل لإبادة البشرية كلياً.

إن الخوف من زيادة عدد السكان ليس جديداً ففي ملحمة أتاשאسيس نعرف على وضع زاد فيه العنصر البشري في سومر إلى درجة أن سبب ذلك الانزعاج لدى الآلهة.

لقد توسعت الأراضي وزاد عدد السكان

ولقد شعر الإله بالكآبة من شدة ضجيجهم

ولقد سمع إنليل ضجيجهم

فهتف منادياً الآلهة العظمى قائلاً:

إن ضجة البشر أصبحت عبئاً عظيماً علي

وبسبب ضجتهم لم يعد باستطاعتي النوم

ولذلك قرر الآلهة أن يخلقوا مجاعة فقد أوقف حدد نزول المطر وأمرت نيسابا إلهة الحبوب بأن لا ينتج حبوب في البلاد أو ذرة وهكذا بدأت البيورات الملحمية تظهر على الأرض كما يحدث في العراق في الوقت الحاضر ولمدة ست سنوات واستمر القحط والمجاعة حتى اضطر الشعب المسكين إلى الانحطاط لدرجة أكل لحوم البشر.

عندما حلت السنة السادسة كانا يحضرون إحدى بناتهم لتكون وجبة طعام لهم

وكانوا يحضرون الطفل ليأكلوه طعاماً

وكان أحد البيوت يفترس أفراد البيت الآخر

وأخيراً أشار الإله الرحيم أيا على الرجل أتراحاسيس فصنع أتراحاسيس شيئاً (لم نستطع قراءة هذا الشيء كون قطعة اللوح قد كسرت) لكي يلغي اللعنة وينتج المطر.

ومع ذلك فقد ازداد عدد السكان الأمر الذي كان منغصاً لحياة الآلهة فقام الآلهة بالتحرك للمرة الثانية وقد كانت العقوبة هذه المرة هي الطاعون وهكذا فقد أخبر إنليل الآلهة بما يلي

إن الطاعون سوف يوقف ضجتهم

ولسوف يهب الدمار والأمراض والحمى عليهم كأنها عاصفة

وهكذا حدث الطاعون ولكن ما لبث أتراحاسيس أن اشتكى إلى الإله أيا الذي أخبره عن الإجراءات التي ينبغي اتخاذها لإيقاف الطاعون.

ومرة ثانية عادت البشرية للازدياد وهكذا قرر الآلهة البدء بالعمل ثانية وفي هذه المرة كان القرار أن يكون الخراب كاملاً وهو بواسطة الطوفان وقد قرروا أن يكون الطوفان هذه المرة بشكل وحش ولكن أنكي قرر أن يحفظ بعض أفراد البشر من الفناء التام.

وهناك عمل كان موضوعه ملحمة أوابا وكان هذا يشير إلى رغبة الإنسان بالخلود وقد عرف هذا العمل من بعض القطع الصلصالية المأخوذة من مكتبة آشور بانيبال في نينوى، ومن قطعة وجدت في القرن الرابع عشر في محفوظات الكتابة المسمارية في تل العمارنة في مصر، وكان أدابا (الذي ربما كان يشير إلى الاسم التوراتي آدم) وقد خرج من قاربه في أحد الأيام لصيد السمك عندما أتت الرياح الجنوبية وقلبت القارب، وعندها غضب أدابا وأمسك بالرياح الجنوبية وكسر جناحها، وهكذا توقفت الرياح عن الهبوب مدة سبعة أيام وقد لاحظ الإله العالي المقام أنو ذلك ودعا وزيره لتغيير ذلك.

وقد أجابه وزيره إيلابرات Ilabrat قائلاً: يا سيدي إن أدابا ابن أيا قد كسر جناح الرياح الجنوبية. ولهذا فقد دعى أدابا للمثول أمام الإله أنو ولكن إيا وقف

مناصراً لأداباً ونصحه بالعمل الذي ينبغي عليه إتمامه لتأمين نجاته. فقد أخبره أن ينفش شعره ويلبس ملابس الحداد على ميت وعند دخوله إلى أبواب الإله أنو سوف يجد هناك إلهين حارسين سوف يسألانه لماذا يلبس ملابس الحداد وكان عليه أن يجيب:

هناك إلهان قد اختفيا من بلادنا

لذلك فإنني قد أصبحت في هذه الحالة

وعندها سوف يسأله الحرس

من هما الإلهان اللذان قد اختفيا من بلادك

وكان على أدابا أن يجيب بما يلي:

إنهما تموز وغيزيدا

وكان هذان هما أسماء الحارسين نفسيهما وقد كان هذا المديح سبباً في فرجهما ولذلك فقد أمّنا مقابلة محمودة مع أنو. وفي أثناء المحاكمة أُنذر أيا أدابا بأنهم سوف يقدمون خبز وماء الموت ولهذا فلا ينبغي عليه أن يأكل ويشرب:

حالما تقف أمام أنو وعندما يقدمون لك خبز الموت فلا تأكل منه

وعندما يقدمون لك ماء الموت فلا تشرب منه

وهكذا فقد أمّن أدابا مقابلة محمودة مع أنو حسب الخطة المرسومة وقد قدم لأنو الظروف التي سببت قيامه بما قام به من الذنب. وقد تكلم تموز وغيزيدا ودافعا عنه وهكذا تلطّف غضب أنو قال:

اجلبوا له خبز الحياة حتى يأكل منه

ولكن أدابا تذكر نصيحة أيا. وليس من الواضح أن النصيحة كانت تقصد منع أدابا من كسب الخلود أم كانت لجهل أدابا ما ينويه أنو من نصيحته ولكن وبالنتيجة

عندما جلبوا له خبز الحياة رفض أدايا أن يأكل منه
وعندما جلبوا له ماء الحياة رفض أدايا أن يشرب منه
وعندما رفض أدايا نظر إليه الإله آنو ضاحكاً وقال:

حسن يا أدايا لماذا لم تأكل ولم تشرب؟

لذلك فسوف لن تحصل على حياة الخلود

وعندما خسر أدايا فرصة حياة الخلود أرجعوه إلى الأرض

ومع ملحمة جلجامش هناك عمل آخر عظيم الذي يمكننا اعتباره موضوعاً
إنشائياً أدبياً وهو الأسطورة التي تدعى ملحمة الخلق ويتألف هذا العمل من سبعة
أغواح، وكان يُتلى في بابل بمناسبة اليوم الرابع من أعياد السنة الجديدة، وأما في
آشور فقد استعمل عند استبدال اسم الإله الوطني الآشوري ووضعه بدلاً من اسم
الإله البابلي مردوخ.

ولا يعلم بالضبط تاريخ نشوء هذا العمل مع أن بعض العلماء ينسبونه إلى الفترة
البابلية القديمة ولكن لم تثبت هذه الحقيقة بعد.

وتقدم لنا الأسطورة قصة أصل النظام العالمي الحالي الذي كان مجمع الآلهة هو
المسؤول عنه وكان الإله المتسلط في هذا المجمع هو مردوخ فقد خلق البشر لخدمة
الآلهة فحسب ولكن لم يكن الحال بهذا الشكل ففي إحدى المرات وطبقاً
للأسطورة لم يكن هناك في الكون سوى أبسو وهو إله الحياة الحلوة الهادئة
وكذلك تيمات وهو المحيط الذي يمثل المبادئ الذكورية والأنثوية بالتوالي، ويوجد
أيضاً من هذا القبيل اسم مومو وهذا يقدم لنا بعض المصاعب إذ إن بعض الكتاب
الحديثين يعتبرون مومو هو العنصر الثالث في الثالوث المقدس وهو الأب والأم والابن
ولكن وجهة النظر هذه غير موثوقة إذ إن هذا الاسم يوجد كما سوف نرى أدناه
بشكلين مختلفين من النصوص ففي أحدهما يأتي هذا الاسم قبل اسم تيمات
والشكل الثاني يمثل بعض الكائنات أو المبادئ التي اشترك فيها أبسو. ومن وجهة

نظر لاهوتية ربما اتخذ هذا اسماً يشبه خالق قوى الحياة وهذا المفهوم يشبه الروح المقدس في الأفلاطونية الحديثة وتوصف حالة الشؤون قبل عملية الخلق في بداية الأسطورة كما يلي:

عندما لم يطلق أي اسم على إحدى السموات العالية

وفي الأسفل لم يطلق أي اسم على أقطاب الأرض

وعندما أبسو لوحده وهو منذ البداية قد خلق هذه السموات والأرض

ومومو تيمات التي ولدت هؤلاء جميعاً

مزجت جميع البحار والمياه بشكل بحر واحد

وعندما لم تكن المستنقعات الراكدة قد تمازجت ولم توجد بعد أجمات

القصب

وعندما لم تظهر قدرة أي إله من الآلهة

وعندما لم يطلق بعد أي اسم على أي إله وعندما لم تثبت مصائر الناس

عندها خلقت الآلهة داخل الأمواج والمياه التي كانت تخص الإله أبسو وتيمات

وظهر لامو ولاهامو وأصبحت لهم أسماء

وقد نمت أكواز البلوط ونضجت

وعندها خلقت عشتار وكيشار اللذان تفوقا على الإلهين السابقين

وعندها امتدت الأيام وطال أمدها وأضيفت السنون إليها

وخلق أنشار طفلاً شبيهاً به وهو أنو أول ولد ولد له وكان أنو ينافس والده

وأنجب أنو طفلاً شبيهاً به وهو نو - ديم - مد.

وإن نو-ديم- مد كان هو الخالق

وكان حكيماً وذا ذكاء خارق

وكان أقوى من أنشار بكثير وهو خالق والده

ولم يكن له مثل بين إخوته من الآلهة

وسرعان ما أصبح هؤلاء الآلهة الصغار عبثاً أو أزعاجاً للآلهة الكبار بما كانوا يحدثون من ضجة وسلوك.

وعندها قام أبسو الذي خلق الآلهة العظام

صرخ ونادى مومو وزيره

يا مومو، يا وزيرى الذى يُفرح قلبى

تعال ودعنا نذهب إلى تيمات

وهكذا ذهبوا وجلسا أمام تيمات

ثم بدؤوا يتشاورون عن موقفهم بالنسبة للآلهة الصغار الذين وُلدوا لهم أولاً

وعندها فتح أبسو فمه

وقال بقوة وعنف لتيمات

إن ذهاب وإياب هؤلاء الآلهة يشكل ضرراً بالنسبة إلي

ففى النهار لا أستطيع الراحة وفى الليل لا أستطيع النوم

دعيني أوقف وأتلف ذهابهم وإيابهم

بحيث يسود الصمت والهدوء لكي نستطيع أن نرتاح

ولكن تيمات عارضت بشدة وسألت

ماذا تقول هل علينا أن نتلف ما خلقناه لأنفسنا بأيدينا

إن حركات ذهابهم وإيابهم لا شك أنها مؤلمة ولكن دعونا نستمع في علاقات

سليمة معهم

ومن جهة أخرى فإن مومو وزير أبسو كان موافقاً على إتلاف الآلهة الصغار المتمردين وتآمر الاثنان على البدء بالعمل ولكن سرعان ما علم الآلهة العظام بالمؤامرة فبادر أيا إلى اختراع تعويذة ورقية قولية وتلاها وجعلها تسكن في المياه وبهذه الطريقة صبّ النوم في عيني إبسو وشلّ حركة مومو وبعد ذلك ذبح إبسو وأسس قصره الذي أقام فيه ومزاره فوق أشلاء إبسو المذبوح أما مامو فقد أبقاه سجيناً عنده

لقد سكن الإله دامكينا مع قرينته داخل مسكن إبسو وأيا وهناك أنجبا إلهاً صغيراً وهو مردوخ الذي يصفونه بأنه أحكم وأقوى الآلهة وهذه القصيدة تمجّد الإله الجديد

إن أبعاده وتقاطيع جسمه قد خلّقت بشكل لبق ولم يكن لها مثل

وكان من المستحيل فهمها ومن الصعب رؤيتها

وكان له أربع أعين وأربع آذان

وعندما تتحرك شفاته كانت النار تتبثق وتلمع...

وكان طويل القامة حقاً وكانت قامته مرتفعة عن قامات بقية الآلهة

كل هذا قد أسهم في زيادة الانزعاج لدى الآلهة العظام وخصوصاً تيمات وقد ذكرها مستشاروها بمصير أبسو ومامو وحرّضوها على الانتقام، بحيث أن كلماتهم قد راقّت لها وهكذا فقد أعدت سلسلة من الوحوش ليحاربوا ضد الآلهة الصغار.

ولقد أضافت الأم جويور (وهذا أحد ألقاب تيمات) وهي التي كانت تشكل

كل شيء

أضافت سلاحاً جديداً لا يقاوم فقد ولدت بعض التينينات

التي كانت ذات أسنان حادة وأنيابها لا تقاوم ولا توفر أحداً

وقد ملأت أجسامهم بالسّم بدلاً من الدم
وجعلتهم يحملون الهالات وأصبحوا كالآلهة
ثم جلبت الأفعى السامة والتنين الأحمر ووحش لاهامو
وجلبت الأسد العظيم والكلب السّعران والرجل العقرب
وجلبت العواصف الهوجاء والرجل السمكة والثور الهائج (البيسون).
وكان هؤلاء يحملون أسلحة فتاكة ولا يهابون الدخول في معركة
ولقد خلقت تيمات أحد عشر وحشاً من هذا النوع وعلى رأسهم نصبت كنجو
أول طفل ولدته ثم قالت لكنجو :

لقد صنعت تعويذة لك ولقد جعلتك من العظماء بين مجمع الآلهة
ولقد وضعت بين يديك القدرة على هداية جميع الآلهة
إنك حقاً إله عظيم وأنت وليفي.

علم الآلهة الصغار أن تيمات كانت تستعد للمعركة وقد سمع أيا بهذا الخبر
وصُرمَ بما قد سمع وأخيراً ذهب إلى جده أنشار وأخبره بما قد سمعه
يا جدي إن تيمات التي ولدتنا أصبحت الآن تكرهنا
ولقد عقدت اجتماعاً لجماعة الآلهة وهي الآن في غاية الغضب
ولقد تجمّع الآلهة جميعاً حولها
وحتى إن بعض الآلهة الذين خلقتهم أنت قد أصبحوا بجانبها

لقد انزعج أنشار لسماعه هذه الأخبار واقترح على أيا الذي عالج قضية أبسو
ومامو أنه ينبغي أن يعمل ضد كنفو ولكن أيا لم يكن قادراً على قبول التحدي.
وعندها التفت أنشار إلى أنو. وهكذا فقد بادر أنو لمعالجة ذلك العدو. ولكنه لدى
مشاهدته قوى تيمات الهائلة انخلع قلبه وفر راجعاً إلى أنشار. وهكذا جلس

الأنوناكي (الآلهة الكبار) في فزع وصمت وأخيراً اقترح أنشار أن مردوخ ينبغي أن يكون البطل ونظراً لأن مردوخ كان صغير السن ولم يسمح له بالحضور إلى المجمع الإلهي، لذلك فقد استدعوه عن طريق والده أيا الذي أمره أن يقدم نفسه أمام أنشار وقد فعل هذا مما سبب السرور العظيم في نفس أنشار. ولكن مردوخ قدم شرطاً:

إذا كنت حقاً سأصبح المنتقم لكم

وأن أكسر شوكة تيمات وأبث فيكم الحياة

عندها ينبغي عليكم أن تقرروا في هذا المجمع تعلنوا أنني أنا العالي المقام

وأنه يجوز لي أن أجلس فرحاً في هذا المجمع وفي قاعته

ودعوني أقرر مصائر البشر بكلمة ألفظها من فمي مثلكم

بحيث يصبح كل من أخلقه بنفسه غير قابل للإلغاء

وحتى لا تتحول الكلمات التي ألفظها ولا تتبدل

ولهذا أرسل أنشار وزيره غاغا إلى لاهامو وحضر لاهامو مع الآلهة الأخرى إلى

قاعة الاجتماع

الآلهة العظام الذين يقررون مصائر البشر

دخلوا أمام أنشار وملأوا القاعة

وعانقوا بعضهم بعضاً في المجمع

وبدأوا يتحادثون ثم جلسوا لتناول الطعام في الوليمة

وقد أكلوا الخبز وشربوا النبيذ

وسال السائل الحلو خلال أنابيب الشراب

وبعد أن شربوا الخمر بدا عليهم الحبور

وشعروا بالحرية وغادرتهم كآبتهم

وبالنسبة لمردوخ المنتقم فقد قرروا مصيره

وأعدّوا له عرشاً يليق بالأمراء

وجلس من آبانه وأمامه لكي يقدم رأيه ونصيحته.

وبعد ذلك أعلنت جماعة الآلهة الموافقة على حالته الرفيعة المقام

إنك المفضل ما بين الآلهة العظام

إن ما تقرره لا يرده أحد وإن ما تقوله هو ما وافق عليه آنو

وابتداءً من هذا اليوم إن أوامرك سوف لا يتطرق لها أي تغيير

وإن تُعزّز من تشاء أو تُنزل من تشاء إن هذا مطروح بين يديك

وإن ما يلفظه فمك سوف يتحقق وسوف لا تخيب آمالك

ولن يستطيع أي إله من الآلهة أن يتجاوز حدودك

ولقد وهبناك الملكية فوق جميع الكون

اجلس في مجمع الآلهة ولتكن كلمتك هي العليا

وبعد ذلك حدثت تجربة بسيطة ساذجة لاختبار قدرة مردوخ فقد وضعت قطعة

من القماش في المجمع وكان على مردوخ أن يأمر باختفاء تلك القطعة ثم ظهورها

مرة ثانية وقد نجح هذا الاختبار وابتهج الآلهة لرؤيتهم نجاح خطتهم.

لقد ابتهجوا وقدموا بركاتهم وقالوا إن مردوخ هو الملك

وبعدها أضافوا له الصولجان والعرش والبالو **Palu** وهي شارة الملكية.

وبعد ذلك سلموا مردوخ وأرسلوه لكي يقضي على تيمات ثم إنه أخذ معه قوساً

وسهاماً وأمسك بيده اليمنى قضيباً شائكاً لكسر الدروع وبعدها انطلق.

ولقد أرسل البرق أمامه

وملاً جسمه بالنار اللاهبة

وأخذ معه شبكة لكي يحصر تيمات في داخلها

وأرسل الرياح الأربعة التي لا تسمح لها بالهرب

الرياح الجنوبية، الرياح الشمالية، الرياح الشرقية، الرياح الغربية

وكانت الشبكة وهدية والده أنو بجانبه

وخلق بعض الرياح السيئة، والعواصف والدوامات

الرياح الأربعة، الرياح السبعة، الإعصار والرياح التي ليس لها مثيل

وبعدها أطلق الرياح التي خلقها كل الرياح السبعة

ولقد تبعوه لكي يزعموا قلب تيمات

وعند ذلك أمسك السيد بسلاحه

وركب في عربة العاصفة التي ليس من الممكن مقاومتها والتي تسبب الفزع

وقد التحق بهذه العربة فريق من الأربعة:

القتلة، المخربون، والملاحقون، والمجنحون

وكانت أسنانهم حادة وهي مفعمة بالسموم

وهنا اقترب مردوخ ومعه الآلهة الآخرون من تيمات الهائجة. وقد أمسك بين شفتيه

رقية سحرية حمراء وأمسك بيده نباتاً مضاداً للسم وحالماً تقابل قطعان مردوخ

وتيمات رمى الفريقان اللعنات والإهانات ضد بعضهما بعضاً. وهنا تحدّى مردوخ

تيمات بأن يتقابلا معاً في قتال منفرد.

وعندما سمعت تيمات قوله

أصبحت وكأنها شخص أصيب بمس من الجنون وخرجت من توازنها وعقلها

وصرخت وهي في أقصى حالات الهياج

وقد ارتجفت ساقها حتى الجذور

ثم تَلَّتْ إحدى التعاويذ وظلت ترمي
 ويعدها التحم فريقا مردوخ وتيمات في المعركة
 ولقد نشر مردوخ شبكته لاصطياد تيمات
 وأطلق الرياح العاتية في وجهها
 وعندما فتحت تيمات فمها لتلتهم مردوخ
 أطلق عليها الرياح السيئة التي دخلت في فمها فلم تستطع إغلاق شفيتها
 وعملت الرياح الهوجاء على تضخيم بطنها
 وهكذا فقد كان داخلها منتفخاً وفمها مفتوحاً
 ثم أطلق سهماً فتح ثغرة في بطنها
 فقطع بطنها، وشق جسمها نصفين
 عندها ربطها مردوخ وأزهق روحها
 ثم رمى جثتها ووقف فوق الجثة

وبعدها بدأ مردوخ الظافر بمعالجة أعوان تيمات ولقد أسرهم جميعاً ومن بينهم
 رئيسهم كنجو الذي أخذ منه ألواح القضاء والقدر وشدّ هذه الألواح على صدره،
 ويعدها توجه مردوخ إلى جثة تيمات ومن هذه الجثة خلق السماء والأرض.

استراح السيد وتقدم لمعاينة جثتها
 وقد رغب في تقسيم جثة تيمات وخلق أشياء جديدة
 وقد قسمها جزأين مثل الحلزونة
 وقد وضع نصفها ونشره تحت السماء
 ثم أنه أطلق سهماً قصيراً ثم أنه وضع بعض الحرس
 وأمر الحرس أن لا يدعوا مياهاها تخرج إلى الخارج

وهكذا خلقت السماء والأرض وتذكر الأسطورة أن المهمة الثانية كانت خلق الظواهر الفلكية وقد ذكرت القصة تثبيت مجموعات النجوم ومواقع بعض الأجرام السماوية وبعد أن أجاد خلق السماء خطرت ببال مردوخ الآن أن يخلق ذلك المخلوق الذي سوف يسمى إنساناً وكان غرضه أن يقوم هذا الإنسان بخدمة الآلهة حتى يبعث السرور في نفوسهم وقد أفضى بخطته إلى والده أيا الذي وافق على الخطة ولكنه قال إنه ينبغي أن يموت أحد الآلهة لكي يخلق الإنسان.

ولهذا فقد أجابه أيا وأراد أن يتكلم كلمة معه

وإكراماً للآلهة وصف له بعض تفاصيل خطته له وقال:

دعوا واحداً من أخوانهم يُنزع منهم

وينبغي أن يُقتل هذا الشخص لكي يستطيع البشر به أن تتدبر أمورهم

وينبغي أن يجتمع الآلهة العظام

حتى يُظهروا الشخص المذنب ويسلموه للعدالة وحتى يتحملوا هم نتيجة أعمالهم؟

وهكذا استدعيت جماعة الآلهة وطلب مردوخ إجراء تحقيق لمعرفة من الذي جعل تيممات تنثور ضد الآلهة وتعاديهم فأجاب الآلهة العظام أنهم يتهمون كنجو وهكذا ألقى مردوخ القبض عليه وربطه وقاده للمثول أمام الإله أيا.

وقد فرضوا عليه عقاباً لقاء جرمه وهو أن يسيلوا دمه

ومن هذا الدم خلقوا البشر

هذا وقد فرض أيا الخدمة على البشر وحرّر الآلهة وجعلهم يذهبون

وبعد ذلك قسم مردوخ ستمائة من آلهة الأنوناكي بشكل مجموعات تعمل ما بين السماء والأرض واعترافاً بجميله قرر آلهة الأنوناكي بناء مزار مرموق لمردوخ وقد عملوا مدة عام كامل، وفي السنة الثانية أتموا بناء المعبد العظيم في بابل واسمه

ايساغيللا Esagila (بين الرأس العظيم) وبنوا مع المعبد زاخورة كانوا يعتبرونها مرآة تعكس صورة أبسو Apso التي كانت متواجدة تحت الأرض.

وبعد ذلك هناك مقطع يعالج تكديس الطقوس في إيساغيللا وأما بقية المقطع فهي تذكر إعلان مردوخ الإله العالي المقام ذي الخمسين لقباً.

إن أسطورة إينوما إيليش، مع أنها أطول أسطورة وأكثر الأساطير حفظاً وسلامة ليست هي الأسطورة الأولى حول الخلق والباقية من الثقافة البابلية (ميليو) وإن موضوع خلق البشرية من دم أحد الآلهة المقتولين إنما نراه في أسطورة أخرى والتي تذكر أن آلهة مؤنثة هي التي خلقت البشرية وقد استعملت هذه الخرافة التي وجدت قطع منها في بابل القديمة كانت تستعمل بشكل جزء من الطقوس لتسهيل عملية الولادة وفي النسخة البابلية القديمة يخاطب الآلهة زميلتهم الإلهة مامي العاقلة قائلين:

أنت الرحم البدائي أنت خالقة البشرية

نرجوك أن تخلقى لنا لوللو ودعيه يحمل المسؤولية

وهكذا فتحت نينتو (وهو لقب آخر للآلهة خالقة البشر) فمها

وقالت للآلهة العظام

بالنسبة إلي إنني مستعدة أن أفعل كل شيء مناسب

وهكذا فقد قررت أن يأتي لوللو إلى هذه الحياة

ولسوف يصنع جسمه من الصلصال

وسوف يدهن بالدم

ولكن أنكى فتح فمه وقال للآلهة العظام

ينبغي أن يذبحوا أحد الآلهة

ومن لحمه ومن دمه يستطيع نين هورساغ أن يمزج الصلصال

وأما النسخة الآشورية المتأخرة فهي تروي التفاصيل حول قيام الآلهة لوللو بتشذيب أربع عشرة قطعة من الصلصال.

لقد شذبت أربع عشرة قطعة من الصلصال ووضعتها في الجهة اليمنى
ووضعت سبع قطع في الجهة اليسرى ووضعت بينهما قطعة من الطوب
والأرحام السبعة كانت أصل الإناث

وقد خلقهم الرحم بشكل أزواج

وجعلتهم أزواجاً ووضعتهم أمامها

وهكذا شكلتهم مامي بشكل أشخاص من البشر

وقطعة الطوب المشار إليها من الواضح أنها كانت تستعمل في طقوس وضع
المرأة للطفل بعد الحمل نظراً لأن النص يستمر:

ينبغي أن تكون القابلة مسرورة وهي في بيت المرأة الحامل وهي في وضع
المخاض

وحالما تضع الأم الحامل طفلها

ينبغي لأم الطفل أن تشد عضلاتها.

وهناك أسطورة أخرى حول الخلق (وفي هذه المرة الأسطورة سومرية تعود إلى
الألف الثالث ق.م) وهي تقدم تفسيراً لأصل مجموعة من الآلهة الثمانية ولقد تحدد
عمل الأسطورة في أرض تلمون وهي البحرين أو بالأرض الواقعة على الجانب الشرقي
للخليج العربي وقد كانت تلمون تعتبر مركزاً قديماً للثقافة والحضارة وهي اقدم
من أريدو) وربما كانت تشير إلى استيطان السومريين الأول قبل هجرتهم إلى منطقة
ما بين النهرين. وفي هذه الأسطورة تتمتع تلمون بعصر ذهبي.

إن أرض تلمون نقية. إن أرض تلمون نظيفة

فالأسد هناك لا يقتل أحداً ولا يلمس الذئب الشاة

ولا يعرف عن وجود بعض الطيور التي تلتهم الذرة

وليس هناك من امرأة كبيرة في السن تقول إنني قد أصبحت عجوزاً

وليس هناك من رجل كبير السن يقول إنني قد أصبحت شيخاً.

وهكذا فقد كانت هذه البلاد سعيدة وخصبة. وهنا جامع الإله أنكى الإلهة

نين هورساج وجعلها في حالة حمل.

لقد قبلت في رحمها مني أنكى

وكان اليوم الواحد بمثابة شهر واحد

وهكذا فقد تم حملها في تسعة أيام تمثل تسعة أشهر وقد ولدت بنتاً وهي نين

مو ولقد وقعت عينا أنكى على نين مو فاستظرفها وجامعها بدورها وبعد تسعة أيام

ولدت بنتاً وهي نين كورا وقد جامع أنكى هذه البنت أيضاً فولدت له بنتاً هي أوتو

Uttu ولكن عندما أراد أنكى مجامعة هذه اعترضت نين هورساج ولذلك أخطر

أنكى أن يجلب لها هدية من الخيار والتفاح والعنب وعندما قدم هذه الهدية قبلته

أوتو فوراً فجامعها ونتيجة لذلك فقد ولدت عدداً من النباتات وقد ذهب أنكى مع

وزيره لفحص النباتات وليقرر مصيرها السحري ولكي يقرر فوائدها، بدأ بأكلها

ولهذا فقد لعنته نين هورساج فأصابه المرض فوراً مما سبب انزعاج الأنوناكي ولم

يكن بمقدور أحد شفاء أنكى سوى نين هورساج التي اختفت ولذلك فقد تعهد

الثعلب أن يجلب نين هورساج إلى إنليل رئيس جماعة الآلهة وقد نفذ الثعلب تعهده

وأقنع نين هورساج بشكل ما غير معروف تماماً أن تشفي أنكى. ولذلك وضعوا

أنكى أمام مهبلها فولدت ثمانية آلهة كان من بين واجبهم شفاء أنكى من النباتات

التي أكلها.

وضعت نين هورساج أنكى أمام مهبلها

يا أخي ما خطبك؟ إن سني يؤلني

لقد أمرت أن تولد نين سوتو لتشفيك

يا أخي ما خطبك؟ إن فمي يؤلني

لقد أمرت أن تولد نينكاسي لتشفيك؟
يا أخي ما خطبك؟ إن أضلاعي تؤلمني
لقد أمرت بأن تولد (نين تو) لتشفيك

وتستعمل صيغة مشابهة لكل من الأمراض الثمانية الباقية وإن ذكر الأضلاع ربما له صلة بالقصة التوراتية أن المرأة قد خلقت من ضلع الرجل. وكان اسم المرأة هي حواء أي الحياة.

هناك عدد من الأساطير معروفة بشكل أو بآخر. ولقد ذكرنا سابقاً أسطورة أخرى ذات علاقة بإديش كيغال أو العالم السفلي وهي موجودة في كل الأشكال السومرية والأكادية.

وبسبب ما لم يتضح بعد، رغبت إينانا بالنزول إلى العالم الأسفل وكان من المفترض أنها أرادت إطلاق سراح الأسير تموز (دوموزي) وهو إله الخصب الميت. ولكن النسخة السومرية تظهر أن هذا لم يكن الحقيقة. وللبداء في رحلتها لبست إينانا جواهرها وشارتها وغادرت مدن سومر وأكاد لتذهب إلى الأرض التي لا رجوع منها. وكان وزيرها نين شوبور مرافقاً لها وقد قدمت له التعليمات بما عليه أن يفعله إذا لم ترجع، إذ كان عليه أن يبدأ بالبكاء والبكاء ويلبس ملابس الحداد وأن يذهب إلى إيكور وهو مزار إنليل في نيبور ليشرح له الخطر المحيق بإينانا فإذا لم يتصرف إنليل ويعمل كان على نين شوبور أن يذهب إلى إيكور شنوغال وهو معبد نانا إله القمر في أور فإذا لم يتصرف نانا ويعمل فكان على نين شوبور أن يتقدم أخيراً إلى الإله إنكي في إيريدو. وإن أنكي الذي يعلم طعام الحياة والذي يعلم مياه الحياة سوف يقدم المساعدة بالتأكيد.

وبعدها تقدمت إينانا إلى البوابة الأولى في العالم السفلي وقالت إنها تود حضور جنازة غوغالاتا وهو زوج اختها الكبرى إيديش كيغال ملكة العالم السفلي وقد أوصل البواب هذا الكلام لسيده واستلم التعليمات بأنه يسمح لإينانا بالدخول شريطة أن تسلم تاجها.

لقد أطلع نيتي بواب العالم السفلي أوامر ملكته

ففتح أبواب العالم السفلي السبعة

وقال لإينانا النقية الصالحة تعالي يا إينانا - ادخلي

وحالما دخلت أزالوا تاجها عن رأسها

فقالت لماذا هذا التصرف

صمتاً يا إينانا إن هذه هي قرارات العالم السفلي الملزمة

يا إينانا لا تسألي ولا تستهجلي عادات العالم السفلي

ولقد تبع ذلك إرجاءات مشابهة في كل من البوابات الست الأخرى في العالم السفلي، ولقد فقدت إينانا قلادتها المصنوعة من اللازورد وفقدت الأحجار الكريمة الموضوعة على صدرها وفقدت خاتمها الذهبي ورداءها، وهكذا دخلت العالم السفلي وهي عاجزة وعارية، ثم إن إيديش كيغال جلست على عرشها وأطلق قضاة الأنوناكي السبعة نظرة الموت على إينانا فأصبحت هذه جثة هامدة وقد ظل جسمها معلقاً مدة ثلاثة أيام بلياليها على خازوق، عندها بدأ وزيرها نين شوبر في تنفيذ وصيتها في حال عدم رجوعها فبدأ البكاء وذهب إلى إنليل.

ولكن الأب إنليل لم يوافق في وجهة نظره بالنسبة لهذه القضية ولذلك ذهب إلى أور وفي أور رفض إله القمر نانا تقديم المساعدة وهكذا انطلق نين شوبر إلى أنكي في أسيديو وكان أنكي هذا متردداً بالنسبة لهذه القضية كما كانت إينانا قد توقفت وقد أجاب الأب أنكي قائلاً:

ماذا سوف يحدث لابنتي؟ إنني منزعج جداً؟

ماذا سوف يحدث لابنتي؟ إنني منزعج جداً؟

وهكذا فقد أخرج التراب من بين أظافره وعمل من هذا التراب شخصين منزوعي الجنس يدعيان كورغارو Kurgarru وكالاتور Kalatur من العالم

السفلي أي الأرض التي لا رجوع منها ولا أحد قد ولد من رحم امرأة يستطيع الخروج منها إلى الأرض ولكن هذين المخلوقين اللذين لا شعور جنسياً لديهما أي المحرومين من الجنس كانا الاستثناء لقاعدة منع الدخول إلى العالم السفلي. ولقد أعطى الإله الحكيم لكورغارو طعام الحياة ولكالاتورو ماء الحياة، وأرسلهما ليستعيدا إينانا، وعندما وصلاها رشّ عليها ماء الحياة وطعام الحياة، وهكذا رجعت إينانا إلى الحياة وصعدت من العالم السفلي يحيط بها جمهور من الشياطين. وهناك قابلها وزيرها نين شوبور وقد رغب الشياطين بالإمساك به وقتله ولكن إينانا منعتهم نظراً لخدماته السابقة لها وهكذا تقدموا إلى معبد أوما Umma حيث رمى الإله شاراً نفسه على الأرض أمام إينانا التي منعت الشياطين من الإمساك به. وفي اليوم التالي، وفي مدينة تاليه وهي باد ن- تيبيرا Bad Tibira حدث أمر مشابه فقد استمرت إينانا وحولها بطانته من الشياطين في سيرها في مدينتها إيريش في مقاطعة كولااب وهنا لم يظهر الإله (دوموزي) تموز أي احترام لإينانا بل بقي جالساً على عرشه، وهكذا غضبت إينانا وسلمته للشياطين الذين أمسكوا به وكانوا يريدون إنزاله إلى العالم السفلي ولكن لم نستطع معرفة نهاية هذه الأسطورة.

هناك أسطورة أخرى عرفت من عدد لا بأس به من القطع الصلصالية هي أسطورة (زو) وكان زو إلهاً بشكل طائر كان قد سرق ألواح القضاء والقدر من الإله إنليل ولا يعرف موقع زو هذا في مجمع الآلهة السومرية الأكادية وليس المعنى اللاهوتي للأسطورة واضحاً تماماً. وربما تشير إلى مرحلة من مراحل التطورات الدينية عندما كانت إحدى الشرائع من السكان تفرض مفاهيمها في منطقة ما بين النهرين. وفي هذه الأسطورة نجد أن زو لسبب ما قد أرسلوه لمرافقة إنليل ولقد غلب عليه الحسد والطموح:

لقد حديق وحملق بعينييه عند رؤية الحاكم العالي المقام

وظل ينظر إلى تاج الملك وإلى أثوابه الإلهية وألواح القضاء والقدر لديه

نعم لقد ظل محدّقاً في والد الآلهة وإله دورانكي (أي إنليل)

وبدا يفكر في قلبه في الاستيلاء على الحكم المطلق.

نعم ينبغي أن آخذ لنفسي ألواح المشيئة الإلهية

ولسوف احتفظ لنفسي بأوامر الآلهة جميعها

ولسوف استولي على العرش وسوف أتحكم بالطقوس

ولسوف أوجه جميع ذلك الجيش من آلهة الإيجي جي

ولقد سنحت له فرصة السرقة عندما كان إنليل يغتسل

عندما كان إنليل يغسل نفسه بالماء الصافي

بعد أن نزل عن عرشه وخلع ملابسه

عندها تسلل زو واستلم السلطة العليا

وطار راجعاً والتجأ إلى الجبال

لقد انزعج الآلهة من عمل زو واستدعى آنو أحد المتطوعين ليذهب ويقتل زو وقد

أعلن أن من يقتل زو سوف يصبح ذا النفوذ في مجمع الآلهة وهكذا استدعي إله

الطقس حدد ولكنه رفض وقال لآنو والده:

من هو الذي يشبه زو من بين الآلهة أولادك أجمعين؟

فلقد خطف ألواح القضاء والقدر في يده

وبهذا فقد استولى على الحكم

فأصبحت كلماته ذات كلمات الإله دوراكي

ولذلك فإن أي شخص يعاديه سوف يصبح كالصلصال

وبعدها استدعوا إلهاً آخر ولكنه رفض أيضاً، وأخيراً ظهر أحد أبطال الآلهة

ومع أنه لم يكن معروفاً تماماً، ويقال إنه شارا أو مردوخ أو لوغال باندي أو نين

غيرسو هو الذي ملأ هذا الفراغ ولكن التفاصيل الدقيقة عن هزيمة زو لا تزال تنتظر الاكتشاف.

وهناك أسطورة أكادية أخرى وهي معروفة من نسخة وجدت في مكتبة آشور بانيبال وهي أسطورة إيتانا ، ويشير إلى إيتانا في سلسلة ملوك السومرية بأنه أحد ملوك كيش في الزمن الذي تلا الطوفان وكانت كيش هي المركز الثقافي الشمالي المقابل لإيريش في الجنوب.

وبعد أن غطى الطوفان الأرض ونزلت الملكية من السماء

أيضاً من السماء لقد كانت الملكية قد بدأت أولاً في كيش (وبعدها تأتي قائمة مؤلفة من اثني عشر ملكاً كل منهم كان يحكم ما بين ٦٠٠ و ١٢٠٠ عام.

وكان إيتانا راعياً قد صعد إلى السماء وكان بمقدوره تثبيت ملكية كل الأمراض وقد أصبح ملكاً وحكم ١٥٦٠ عاماً وتبدأ أسطورة إيتانا بإشارة غامضة مكسرة إلى الآلهة الذين أرسلوا الملكية إلى الأرض وبعدها تشير الأسطورة إلى العلاقة ما بين النسر والثعبان فقد أقسم كلاهما أن يصبحا صديقين أمام إله الشمس شماش:

وأمام البطل شماش أقسما قسماً قائلين:

إن من يتجاوز حدود شماش فإن شماش سوف يضره

ونظراً لهذا الاتفاق فقد اعتاد النسر والثعبان الذهاب إلى الصيد معاً وكانا يتقاسمان ما يصيدانه.

لقد نهضا ثم سارا نحو الجبال

وعندما كان النسر يصطاد ثوراً برياً أو حمار وحش

كان الثعبان يأكله وبعدها ينسحب ويبدأ أطفاله بالأكل

وعندما يصادف أن يمسك الثعبان ماعزاً أو غزالاً

كان النسر يأكله ثم ينسحب ويأتي أطفاله للأكل

وهكذا استمر الحال على هذا المنوال حتى كبرت النسور الصغيرة عندها بدأ
النسر بالتفكير بخيانة صديقه.

كان النسر يستلم الطعام وقد كبرت صغاره وترعرعت

وعندما كبرت صغاره وترعرعت

بدأ النسر بتآمر ودخل الشر إلى قلبه

وفكر بأكل صغار صديقه الثعبان

وهكذا فقد فتح النسر فمه وقال لصغاره

إنني سوف افترس صغار الثعبان ولسوف لا يستطيع الثعبان الإمساك بي

لأنني سوف أصعد إلى السماء وأسكن هناك

ولسوف أنزل إلى الأرض لأكل الأثمار الموجودة في أعلى الشجرة

ولقد حذر أحد الصغار والده النسر من خطر الخيانة

لقد قام أحد الصغار الحكيم بإسداء نصيحة لوالده النسر

لا تأكلهم يا والدي إن شبكة شماش سوف تمسك بك

ومصائد وأفخاخ ولعنة شماش سوف تصيبك وتمسك بك

ولكن النسر

لم يستمع لولده الصغير ولم يستمع لأية كلمة قالها ولده الصغير

فنزل وأكل أحد صغار الثعبان

عاد الثعبان ووجد أحد صغاره مفقوداً فذهب وهو ييكي إلى شماش وشكا له

مصابه

وطلب الانتقام من النسر ووصفه بأنه فاعل الشر زو

لقد وثقت بك يا شمش الشجاع

ولقد وثقت بالنسر وكانت نواياي حسنة تجاهه

ولقد حافظت على القسم الذي أقسمته أمامك

ولم أضمر أي شر تجاه النسر صديقي

ولقد ظل عشه سالماً أما عشي فقد تبعثر

وإن صغاره سالمة أما صغاري فقد اختفوا

فلقد نزل وأكل أولادي

وأنت تعلم يا شمش أنه هاج من هواة الشر

ولهذا فإنه سوف لا ينجو من شبكتك يا سيدي

وافق شمش على الانتقام للثعبان المسكين وقدم له بعض التعليمات تمكنه من

الإمساك بالنسر بنفسه.

فتح شمش فمه وقال للثعبان

تابع هذا الممر واصعد فوق الجبل

ولسوف أربط عجلاً برياً لك

اقتله وافتح خاصرته ومزق بطنه

ثم ادخل في بطنه واسكن هناك

ولسوف تنزل جميع أنواع الطيور في السماء لتأكل من لحمه

ولسوف يأتي النسر ليأكل اللحم معهم

ونظراً لأنه لا يعلم الخطر المحدق به

فهو سوف ينشغل بالتهام اللحم

وعندما يصل إلى داخل البطن عندها فسوف تمسكه من جناحه
وتمزق مخالبه وتنتف ريش القوادم من جناحيه ثم تمسك به وترميه في إحدى
الحفر

وهكذا فسوف يموت بسبب الجوع والعطش

وهكذا فقد نفذ الثعبان ما أمره به شمش وأمسك بالثور البري واختبأ في داخله
وعندما وجد النسـر الحيوان الميت دعا صغاره ليأتوا ويأكلوا ولكن أحد الصغار
وكان ذكياً جداً أنذر والده بما يلي:

لا تنزل إلى الأسفل يا والدي ربما سوف تجد الأفعى وقد التف حول نفسه داخل
الثور البري ولكن النسـر لم يستمع لكلام الصغير ولم يسمع كلام ابنه.

وهكذا فقد وضع النسـر نفسه تحت رحمة الثعبان وهكذا أمسك به وقد رجا
الثعبان طالباً الرحمة ولكن الثعبان فعل ما أمره شمش والقى بالنسـر في حفرة.

وبدأ النسـر يطلب الرحمة من شمش ولكن شمش قال له إنه ويسبب أعماله
السيئة فهو لن يأتي لمساعدته بنفسه بل سوف يرسل رجلاً آخر لمساعدته.

وهنا تقدم لنا الأسطورة الرجل إيتانا وقد كان إيتانا يتوسل كل يوم من شمش
أن يهبه ولداً.

لقد ظل إيتانا يتقدم بنفسه يومياً أمام شمش

يا شمش، لقد أكلت أغنامي السمينة ولقد شربت الأرض دم كل جميل من
ابنائي ولقد احترمت الآلهة ووقرت الأشباح

يا سيدي أرجو أن تأمر بكلمة من فمك وأن تعطيني نبات الولادة

أرني نبات الولادة وخفف الأعباء عن كاهلي وهبني ولداً

وإجابة لتوسلاته فقد وجهه إلى الممر فوق الجبل الذي يوصل إلى الحفرة التي
كان النسـر محصوراً فيها ولسوف يُري النسـر إيتانا نبات الولادة. وهكذا استطاع

إيتانا أن يجد طريقه إلى الحفرة وأطلق سراح النسر الذي كان شاكراً له، ولقد تعهد النسر بعد أن علم ما يريده إيتانا أن يحمله إلى السماء وهي سماء آنو

تعال سوف أحملك إلى سماء آنو

أرجوك أن تضع صدرك فوق صدري

وأن تضع كف يدك على الريش في أجنحتي وضع ذراعيك حول جوانبي

وهكذا فقد فعل إيتانا ما أمر به

ولقد كان النسر قوياً جداً وقد كان عبئه ثقيلاً جداً وظل ساعتين وهو يحمل الرجل صاعداً في السماء

وبعد ذلك تكلم النسر قائلاً لإيتانا

لاحظ يا صديقي الأرض تحتك

لاحظ البحر المحيط بالجيال الكونية

فالأرض يحيط بها الجبل ولقد ظهر البحر وهو قد تحول إلى إحدى الأتنية

قد استمر في حمله ساعتين إلى الأعلى

وهنا تكلم النسر مع إيتانا

لاحظ يا صديقي الأرض وقد ... (النص غير مقروء)

وبعد ذلك استمر في حمله ست ساعات

ثم إن النسر تكلم مع إيتانا

لاحظ يا صديقي منظر الأرض

ولقد اتجه البحر إلى خندق أحد المزارعين

وأخيراً وصلا إلى سماء آنو ووصلا إلى بوابة آنو وإنليل وأيا وعند هذه النقطة تتوقف القصة ولا نعلم إذا كان الطلب قد صادف النجاح أم لم يصادف. من المؤكد

أن قائمة الملوك السومريين تذكر أن إيتانا قد وُلد له ولد كما كان ينبغي وأصبح له وريث ولكن من جهة أخرى فإن هناك قطعة أخرى من اللوح المسماري تشير إلى أن النسر وإيتانا معه قد سقطا معاً إلى الأرض.

إن الفرق الرسمي ما بين الأساطير والملاحم هو أن الأولى تختص بالآلهة بينما تختص الثانية بمغامرات الأبطال من بني البشر ولكن هذا التمييز لن يظل ساري المفعول بالنسبة لمنطقة ما بين النهرين القديمة نظراً لأن مثل هذا البطل وهو جلجامش أو حتى دومزي (تموز) قد كان يعامل كأنه إله إنما كان يمثل شخصية تاريخية كإنسان ولكن هناك بعض الملاحم أو الأساطير من الممكن تصنيفها في فئات مختلفة ولكن لا يجوز اعتبارها كتاريخ بالمعنى الصحيح فهي تنمو وتتكاثر حول بعض الأشخاص التاريخيين الحقيقيين بشكل تاريخي مختلف وهناك اصطلاح (نارو) الذي يعني المسلة التي نحتها الملك لتسجيل الحوادث التي حدثت أثناء حكمه وتدعى الأساطير من هذا النوع بأدب النارو من الحقيقة التي مفادها أنها تمثل نقوش النارو القديمة التي صُنعت في أوائل الألف الثالث ق م باسم بعض مشاهير الملوك في الأزمنة القديمة وإن أشهر قصة من هذا النوع هي قصة سرجون ملك أغادي وتبدأ القصة كما يلي:

أنا سرجون الملك القوي، ملك أغادي

لقد كانت والدتي كاهنة عالية المقام ولم أعرف والدي

وكانت مدينتي أدوبيرانو وهي واقعة على ضفاف نهر الفرات

ولقد حملت بي أمي الكاهنة وولدتني بشكل سري

وقد وضعتني في سلة المهملات وسدت غطاءها بالبيتومين

ثم رمتني في أحد الأنهار ولكن الماء لم يرتفع فوقي

ولقد حملني النهر وأوصلني إلى أكي Akki

وهو فلاح يروي الأرض بالمياه

ولقد رفعتني أكي من الماء حالما أدلى بسطله في الماء

ولقد اتخذني أكي ولداً ورياني كولد من أولاده

وعندما كنت بستانياً أحببتني الإلهة عشتار

وبعد بضع سنوات مارست الحكم كلملك

ومن بين ملوك أسرة أغادي الذين رويت عنهم الأساطير كان نارام سن وهو أحد أحفاد سرجون الذي كان أعماله المزعومة تعتبر من النبوءات. وأن الأسطورة الشهيرة حول نارام سن معروفة جداً. شأنها شأن الجزء الأعظم من أدب منطقة ما بين النهرين القديم وذلك من مكتبة آشور بانيبال في نينوى ولكن هناك أيضاً نتفاً قديمة بابلية وقطعة محفوظة في السلطنة العثمانية في تركيا وقطعة باللغة الحثية من بوزازكيوي.

وبعد المقدمة التي يعرف نارام سن بنفسه كما ينبغي يُشار إلى غزوة حصلت من قبل قطيع من المحاربين لهم وجوه كوجوه الغربان:

كانوا محاربين أجسامهم تشبه أجسام الطيور التي تعيش في الثقوب ووجوههم تشبه وجوه الغربان ولقد خلقتهم الآلهة العظام وأرضعتهم تيمات.

ولقد نموا وكبروا في أواسط الجبال وأصبحوا رجالاً في تمام الرجولة وأصبحت لهم قامات الرجال وكان عدد عساكرهم ٣٦٠,٠٠٠ عسكري.
وكان والدهم الملك أنوبانين ووالدتهم كانت تسمى ميليلي.

وهنا يذكر اسماء سبعة من الأخوة الذين كانوا يعملون قواداً. وهذا القطيع من الناس الذين أتوا من الجبال الشمالية هاجموا في أول الأمر بوروشر خاندا وهي محطة تجارية أكادية واقعة فيما يدعى الآن تركيا، وبعدها اندفعوا نحو سوبارتو (آشور) ونحو غوتيوم (أواسط كردستان) وعيلام (جنوب غرب إيران) وأخيراً وصلوا إلى الخليج العربي واستمروا في تخريب تلمون (البحرين) وماغان (عمان) وميلوها

(ربما بلوخستان) ولم يعرف نارام سن أن هؤلاء كانوا رجالاً أم شياطين ولكنه أرسل ضابطاً للقيام بتجربة.

المسهم بسلاح اللودو واطعنهم بالرمح

فإذا سال الدم منهم فهم بشر مثلنا

وأما إذا لم يسال الدم منهم فإنهم شياطين يجلبون الطاعون

وهم أشباح وأرواح شريرة وهم من مخلوقات إنليل

وبعد ذلك عاد الضابط بالتقرير التالي:

لقد لمستهم بسلاح اللودو واطعنهم بالرمح فسال الدم منهم.

وعندها استشار نارام سن الآلهة لتسمح له بالهجوم على هذه القطعان من البشر ولكن الآلهة لم تأذن ولهذا فقد قرر العمل من تلقاء نفسه ولكن النتيجة كانت كارثة. فقد أرسل لهم جيوشاً هائلة يبلغ عددها ١٢٠,٠٠٠ و ٩٠,٠٠٠ و ٦٠,٧٠٠ جندي كسروا جميعهم، وبالإضافة إلى ذلك فقد تسلط على بلاده القحط والمجاعات والطاعون والطفون. وفي السنة الرابعة أقنع أيا الآلهة العظماء أن تلين قلوبهم وقدم لنارام سن فئلاً حسناً في عيد رأس السنة الجديدة بأن استطاع أن يأسر اثني عشر أسداً منهم وقد استأذن من الآلهة أن يقتل هؤلاء ولكن كان الجواب الرفض وإنهم ينبغي أن يعفى عنهم. وذلك كما فسرا الكوكب فينوس (وهو عشتار).

في الأيام القادمة سوف يقوم إنليل باعتبارهم أشراراً.

وهم بانتظار قرار إنليل الغاضب

ولسوف تدمر مدينة هؤلاء المحاربين

وسوف تحرق بيوتهم وتحاصر

وإن رجال المدينة سوف يستبيحون دماءهم

والأرض سوف تنقص محاصيل الذرة عنهم

ولسوف تقنى مدينة هؤلاء المحاربين

وكل مدينة وسوف تظهر العداوة للمدينة الأخرى وكل بيت لبيت آخر

وتأتي جميع الأساطير المذكورة أعلاه شأنها شأن معظم الأدب الديني، نهائياً من بابل (أو سومر) وهناك ملحمة هامة وهي عمل آشوري وطني وتعرف باسم ملحمة توكلتي - نينوترا وهي تصف وجهة النظر الآشورية كيف أن الملك الآشوري النقي توكلتي نينوترا الأول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) قد ساعده إنليل على التغلب على كاشي تيلياش الرابع الملك الكاشي في بابل الذي حث بإيمانه فهجرته الآلهة.

أدب الحكمة

لقد اطلع القراء الإنكليز على أدب الحكمة من التوراة والعهد القديم حين زارت ملكة سبأ سليمان لتطلع على حكمته بينما كان صدوم ومصر مشهورتين بالحكمة ولقد ترجمت عدة أساطير وملاحم تحتوي الحكمة من لغة إلى أخرى في الزمن القديم.

أما في منطقة ما بين النهرين فالأدب هناك يعود إلى فترة لارسا (قبل ١٩٠٠ ق.م) أو بشكل أدق إلى الفترة الواقعة ما بين حكم نارام سن للارسا وزمن أمي - صادوقا في بابل ومن هذه الفترة وجدت كميات كبيرة من أدب الحكمة في سومر. ويقسم هذا الأدب السومري للحكمة إلى ما يقرب من خمس إلى أحد عشرة فئة. وإن أكثر أنواع الأدب المختص بالحكمة في سومر هو الأمثال ويمكننا اقتباس الأمثال الآتية:

السرور بعد تناول المشروبات الكحولية والتعب بعد الرحلة.

وقد عرفوا قيمة المشروبات الروحية في تهدئة حالات الضغط النفسي والتوتر كما يلي:

إن من لا يعرف المشروبات لا يعرف شيئاً جيداً في هذه الحياة فالمشروبات تجعل البيت فَرِحاً (وكان من مثالب أنكيكو أنه لم يعرف طعم الخبز والمشروبات الروحية).

إذا مدحت الشاب الصغير فإنه سوف يعطيك كل ما تريد.

وإذا رميت قطعة من الخبز إلى كلب صغير فإنه سوف يبدأ في هزّ ذنبه والاتجاه إليك.

إن الرجل الذي لا يُسأل ولا يعيل زوجة أو طفلاً فإن أنفه لم

وإن الزواج من أكثر من امرأة متروك أمره للرجل نفسه. وأما تربية أكثر من ولد ، فهو متروك للإله فقط.

الزانية للزاني والزاني للزانية.

إن وضع الحمل بالنسبة للمرأة قضية جميلة ولكن مشاكل الحمل بعد ذلك متعبة.

إن الفقراء هم الأشخاص الصامتون في سومر.

وهناك المبادئ الأخلاقية والحكم وهي مشابهة للأمثال في روحها ولكنها متميزة عنها ، والمبادئ الأخلاقية تتألف من سلسلة من الجمل الجارحة التي تعلق على السلوك البشري وهي تقدم بشكل نصيحة من الوالد إلى ولده وكان هذا النوع من الإنشاء معروفاً في العهد القديم من التوراة وكذلك في مصر وهناك مثال جيد عنها في اللغة الآرامية (كلمات أجيكار) وليس هناك أكثر من اثنين أو ثلاثة من هذه المبادئ معروفة في سومر وهناك بعض المقاطع من هذه النصوص كما يلي:

انتبه لكلمات أمك كما تنتبه لكلمات الإله.

عندما تتورط في نزاع أو قتال لا تجعل وجهك يظهر غاضباً أو متجهماً.

عندما يستهلك القتال والخصام الإنسان وكأنه النار، تأكد أنك تعلم كيف تطفئ هذه النار.

إذا صادف وخاطبك شخص بكلام بذيء فلا ترد له هذا الكلام بالمثل لأن ذلك له نتائج خطيرة.

عندما يصدر حكمك على قضية لا ترافق هذا الحكم بتعليقاتك الشخصية بعدم الموافقة عليه.

وكمثال على ما ندعوه الحكم والأمثال السائرة والتي نجدها في الأدب الأكادي أكثر منها في الأدب السومري من الممكن أن يقتبس المرء الحكم التالية التي ترجمها الأستاذ جاكوب سون من شيكاغو:

إن الملك الذي يراعي الحق والعدل سوف يفرض العقوبة على المذنبين، وعندما يسمع الشهود ويصدر حكمه إلا أنه لا يطلب من الشخص المذنب دفع أجور ذنب عظيم.

هذه الحكمة وجدت في أحد النصوص التي تمدح الإلهة نانشي بصفتها حامية للنظام. وهناك مثال آخر مكتوب بلغتين وهما السومرية والأكادية كما يلي:

إن من ينام مع زوجة رجل آخر يقترب ذنباً عظيماً.

إن من يقسم أن يفعل أشياء قبيحة ومن يفترى على الناس، ومن يشير بإصبعه بشكل شرير خلف رقيقه، وإن من يشتم عائلته بكلمات نابية، ومن يعمل كأنه عبد مأمور، ومن يسلم الضعفاء إلى الأقوياء، مثل هؤلاء يستحقون اللوم والاحتقار.

وهناك من يدعوه السومريون آدامان - دو - غا ومعناه التكلم بين شخصين مناقضين لبعضهما وهذا يعني النزاع الكلامي بين فريقين ذوي خصائص متميزة مثلاً الصيف والشتاء، الراعي والمزارع، النحاس والأحجار الكريمة، الفأس والمحراث، وكانت هذه تقال في مناسبات لتسلية البلاط الملكي في الأعياد، ويتلو ذلك قضية النزاع ما بين فريقين يشرح كل فريق في النزاع فضائله أو يشير إلى

مثالب ونقائص خصمه وأخيراً يلجأ الفريقان إلى الإله الذي يُصدر حكمه الفاصل بين الفريقين وهذان يقبلان الحكم عن طيبة خاطر ويصبحان أصدقاء من جديد وهناك سبع قضايا من هذا النوع معروفة في سومر وأطولها هي قضية الصيف والشتاء وهي كما يلي:

لقد قرر الإله إنليل أن يشجّع الزراعة في البلاد مع ما فيها من بركات الوفرة وبهذا فقد خلق أخوين وهما الصيف والشتاء وقد خصصت لهما بعض الواجبات. فقد كان الشتاء سبباً في ولادة الخراف والحملان والعجول مما تسبب في زيادة الحليب وقد تسبب في اخضرار الحقائق وإزهار وإثمار الأشجار، وقد جعل السمك يفرّخ والحبوب تنبت. أما الصيف من جهة أخرى فقد ملاً المزارع بالمحاصيل وجلب مراسيم الحصاد وملاً المخازن بالذرة وتسبب في بناء البيوت، والمعابد والمدن. وبعد أن أتم كل فصل منهما واجباته اتجه الأخوان إلى نيبور لكي يقدموا الشكر لإنليل وجلبا معهما هداياهما ويظهر أن الترجمة الصحيحة معرّضة للشك ولكن يبدو أن الشتاء قد جلب مختلف الخضروات بينما :

الصيف وهو ابن البطل إنليل

فقد جلب تقدمة لإينانا تيلا (بيت الحياة) بيت إنليل: حملاً، وماعزًا وشاة من الجبل ونتيجة لذلك أصاب الأخوان الحسد بعضهما بعضاً فبدأا بالخصام لقد أصبح الصيف يتحاشى لقاء الشتاء وكأنه عدو ولم يمشِ إلى جانبه. لذلك فقد فقد الشتاء أعصابه وبدأ بالخصام مع الصيف قائلاً:

أيها الصيف، يا أخي...

وهنا يبدأ الخصام وبدأ كل منهما بالجدال وتثبيت سيادته، ويشير الشتاء إلى الدور الهام الذي يلعبه في الطقوس:

أيها الصيف يا أخي

عندما الملك وهو إيني سوين الإلهي

يرتدى رداءه الاحتفالي وعباءته الملكية

لكي يشترك في أعياد الآلهة.

وعندما وفي بيت الحياة الذي كان المسكن الملكي الرائع والذي خلقه آنو

وكانت الآلات الموسيقية ذات الأوتار تعزف له.

فإنني أنا الذي يهتم بإعداد الزبدة الحلوة

وهنا يحاول الصيف أن يجيب ذاكرة المساوي التي يقوم بها الشتاء:

أجاب الصيف مخاطباً الشتاء

أيها الشتاء يا أخي، إن الغيوم السوداء الكثيفة تنقلب في السماء

وفي داخل المدينة تبدأ شفاه الناس بالارتجاف بسبب البرد

ولا يجرؤ أحد على المشي في الشوارع وحتى في منتصف النهار

ويجلس السيد والعبد وهما يتمتعان بدفء النار وينتظران حلول المساء

وأخيراً يلجأ الخصمان إلى إنليل ليفصل بينهما. ويشرح كل منهما قضيته ويبدأ

الصيف بمدح إنليل والتعلق له أما الشتاء فهو يتكلم بشكل مباشر وأخيراً يصدر

إنليل حكمه:

أجاب إنليل الصيف والشتاء

إن الشتاء هو الذي يجلب الماء الذي يهب الحياة للأرض

وهو وبصفته فلاح الآلهة يكوم جميع محاصيله

ولكن أنت أيها الصيف كيف تقارن نفسك بأخيك الشتاء

يقبل الفريقان الحكم ويتصالحان كما يلي:

من يجرؤ على مخالفة حكم إنليل فكلمته العالية المقام، ذلك الحكم الذي أصدره؟

وهكذا فقد اعترف الصيف بفضل الشتاء وأظهر خضوعه له

الصيف تقدّم الذهب والفضة للشقاء

يجلب إلى بيته البيرة والخمور.

وهناك فئة أخرى من أدب الحكمة السومري تتألف من اليودوبا Eudobba وتعني هذه الكلمة بيت الألواح أي مدرسة الكتبة، وهناك عدد من المواضيع الأدبية المتميزة التي كانت تروى بشكل انتقادي إنما تشير إلى تعليم الكتبة وبعكس الفرضية التي كانت معروفة في الماضي بأن مدارس الكتبة لم تكن لها علاقة بالكهنة ولا بالمعابد ولم توجد معظم النصوص الأدبية في المعابد بل في البيوت الخاصة.

وفي الفترة البابلية القديمة عندما انحطت قيمة اللغة السومرية كلغة محكية، فإن مدارس الكتبة قد ازدهرت خصوصاً بالنسبة لتعليم الكتبة الكتابة السومرية التي كانت لا تزال السائدة في الأدب والدين. وتساعدنا النصوص في استنباط ملخصات تنظيمات مثل هذه المدارس. وفي المرتبة الأولى كان المدير أو العميد ويأتي بعدها في المرتبة الثانية أستاذ الصف المدرس وهو باللغة السومرية آدا - إيدوبا أي والد بيت الألواح) وكان هناك أساتذة مختصون بكل موضوع على حدة مثل معلم الحساب أو معلم الهندسة وكان الأهم هو كاتب اللغة السومرية، وكان هناك أحد معلمي التلاميذ الذي كان يؤدي التعليم الفعلي ويدعى الأخ الأكبر. وكانت قضايا الإدارة تخص أمين سر المدرسة الذي كان يعتني بإقامة النظام في المدرسة.

ولقد قام الأستاذ كرامر Kramer بنشر النصوص التي أخذت منها معظم المعلومات المذكورة أعلاه إذ إنها تعطي وصفاً رائعاً للروتين المطلوب من الطالب في سنته الدراسية الأولى، ويبدأ الموضوع بذكر الأسئلة التي تُلْقَى على التلاميذ:

يا ابن بيت الألواح إلى أين كنت تذهب في أيامك الباكرة

وهو يجيب:

لقد كنت أذهب إلى بيت الألواح

وكنت أقرأ لوحى وأتناول طعامى

وأحضر لوحى وأنقشه وأنهى كل ما هو مطلوب منى

وعندما كان بيت الألواح يغلق أبوابه كنت أذهب إلى البيت

وكنت أدخل بيتى فأجد والدى جالساً هناك

وكان هذا الشاب يقدم لوالده وصفاً لأعماله خلال النهار ويعدها يستعد للعشاء والنوم.

إننى عطشان أعطونى شربة ماء

إننى جوعان أعطونى بعض الطعام

اغسلوا قدمى ورتبوا فراشى إننى أريد أن أنام

أيقظونى باكراً فى الصباح

إذ لا ينبغي أن أتأخّر وإلا فإن مدير مدرستى سوف يعاقبنى

وفى الصباح التالى كانت الأم تعطينى ولدها رغيفين وكان يهرع إلى المدرسة ولكن كان هذا اليوم من الأيام السيئة الحظ، إذ رغم كل شيء فقد تأخر مما سبب له الإزعاج فقد ضربه معلم الصف بالقصبة بسبب وضعيته لوحه السيئة فى المساء الماضى ولقد ضرب هذا الشاب مرة أخرى بسبب المواضيع الأخرى وبسبب سوء سلوكه، وقد كان هذا اليوم سيئاً بالنسبة له ولذلك رجا والده أن يكرم مدير المدرسة. وعندما وافق الوالد دُعي مدير المدرسة إلى البيت وقدم له الوالد ملابس جديدة كهدية وهكذا فقد صلح حال الابن وتبأ له المدير بمستقبل سعيد.

وهناك لوح آخر يحتوي نفس النص، وفيه تذكر قصة ولد جديد جبان وكان هذا الولد فى السنة الثانية وقد أصبح شاباً مشاغباً وغشاشاً، مما سبب له المتاعب بالنسبة لسلطات المدرسة. وفى هذه المحاورة كان المتكلمان هما التلميذ وأخوه الأكبر فقد دُعي التلميذ ليقترح ما يجب عليه عمله عند كتابة هذا التمرين، ولكنه يجيب أنه ليس على استعداد للقيام بعمل أي تمرين روتيني آخر:

لقد قررت أن أكتب شيئاً من نفسي إذ إنني أنا الذي سوف يعطي الإرشادات
ولكن الأخ الأكبر يوتخ الشاب المغرور:

إذا أردت أن تعطى التعليمات فإني لن أصبح أخاك الأكبر

من أين تأتي حالة وسلطة أخي الأكبر (في مثل هذه الأحوال)

إن غش الكاتب يسبب إساءة العلاقات مع الأخ الأكبر

أيها الرجل العالي الذكاء والعضو البارز في بيت الألواح

ربما كانت يدك رشيقة وماهرة ولكنها ليست ماهرة عند عمل أي موضوع على اللوح.

وهنا تذكر مثالب الشاب بالتفصيل:

إنه ينقش اللوح ولكنه لم يتمم هذا العمل بكفاءة

وهو يكتب رسالة ولكنه يكتب العنوان خطأ

فإذا أراد أن يقسم أرضاً فلا يستطيع قسمة تلك الأرض

وهناك صفات ذميمة أخرى تصب في نفس الموضوع وأخيراً يسأل الأخ الأكبر بسخرية:

أيها الرجل الذي لا ينبغي مدحه أمام الكتبة

بأي شيء تدعي أنك ماهر

ولكن الطالب لا ينظر إلى هذا نظرة سلبية لكنه بعد أن دافع عن نفسه وعن

قدرته التقنية يوجه الهجوم نحو الأخ الأكبر ومهارته وينتقد معرفته الحساب

والهندسة. ودقة نسخ النصوص الدينية، وقد اشتد النزاع بينهما. إلى أن تطور النزاع

أخيراً إلى القتال المباشر، وهناك لوح آخر يقدم نهاية القضية، وهنا يظهر المدير الذي

يزمجر ويصرح بالطالب الجانح:

لماذا تسلكان أنتما بهذا الشكل

واحدكما يرمي الآخر على الأرض

لماذا وجد أخوك الأكبر وما هو عمله

إنه متفوق عليك في فنون الكتابة

يستطيع المدير أن يفعل شيئاً

وهو حائز على الاحترام التام مهما فعل

ولكن إذا فعلت ما تريد

فإن أي شخص مثلك سوف يصطدم في نزاع من الأخ الأكبر

هناك مراوة في غرفة المخازن وسوف أضرب أي ولد من هذا النوع بها

ولسوف أقيد قدميه بسلسلة من النحاس

ولسوف يكون قادراً على التمشي في أرجاء البيت ولكنه لن يخرج إلى الخارج

مدة شهرين

ويقول النص إنه وبعد ذلك وبعد أن تلفظ المدير بهذه التهديدات أخذ بيدي

الشابين وصالحهما. وهناك نوع آخر من أدب الحكمة كان معروفاً لدى العالم

اليهودي والمسيحي وهو يأخذ بعين الاعتبار مشكلة الشرور والمعاناة.

وهناك طبيعة جديدة لجميع أنواع الأدب والحكم المعروفة في أكاد وهي تلخص

بالقصة التالية:

إن إحدى الأعمال المرموقة المعروفة ابتداءً من السطر الأول بالعنوان التالي: «إني

سوف أمدح رب الحكمة أو معاناة المظلوم أو أيوب البابلي»، ولكن اللقب الأخير

قلما لقي الاهتمام، إذ مع أن هذه القصيدة تعالج مشكلة المعاناة إلا أن النص

التوراتي كان أكثر بلاغة من النص البابلي، تتألف قصيدة «المظلوم المحق» من

أربعة ألواح وهي عبارة عن محاورة تبلغ خمسمائة سطر يقال إنها من كلام بعض

النبلاء البابليين، وتدل خصائصها الأدبية أنها كانت من نتاج الفترة الكاشية وفي

هذه القصيدة نجد أن الراوي التقى قد هجرته جميع الآلهة بحيث إن غضب عليه

الملك وتآمر رجال البلاط ضده، فأصبح منبوذا ولم يستطع المتبثون ولا السحرة أن يساعده وهو يتذكر ثقاه وأعماله الصالحة سابقاً ويستنتج وهو حزين أن الإنسان لا يعرف ما الذي يُرضي الآلهة:

كيف لي أن أعلم أن هذه الأشياء قد أصبحت محبوبة لدى الآلهة؟

وأن الشيء الجيد بالنسبة إلى الإنسان فهو عبارة عن إهانة للآلهة

وأن ما هو ذو سمعة سيئة في قلب الإنسان فهو جيد بالنسبة للآلهة

ومن يعلم رأي الآلهة وهم في منتصف السماء

وهكذا فقد أصيب ذلك الرجل السيئ الحظ بالمرض فقد خرج من العالم السفلي سلسلة من الشياطين لعقابه بإعطائه أمراض الشلل والديزونتاريا والسل والمalaria.

أما الرجل فقد رأى ثلاثة أحلام وفي الحلم الأول ظهر له شاب وسيم ولكن النص الذي يحتوي على رسالة هذا الرجل الوسيم قد كسرت. وفي الحلم الثاني ظهر له رجل شاب بشكل متبني قام بطقوس فوق الرجل المتألم بناءً على تعليمات الإله. وفي الحلم الثالث ظهرت أرملة تشبه الملكة أو الإلهة ووعدته بالخلاص وتبعها كاهن يتلو التراتيل وهو يحمل لوحاً من مردوخ مع وعد بالازدهار وبعد ذلك رحلت سيدته ورجع الشياطين إلى العالم السفلي، واستعاد الرجل صحته وهناءه وتوجه إلى معبد مردوخ.

والنوع الثاني الرئيسي من أدب الحكمة وتاريخه متأخر قليلاً وهو المعروف باسم تيوديسيت Theodicit البابلي وهو يشكل محاورة ما بين المتألم وصديقه. وهي مؤلفة من سبعة وعشرين مقطعاً شعرياً وكل مقطع من أحد عشر سطرًا تبدأ جميعها بنفس المقطع وهي تؤلف جملة معناها: إنني أنا ساغيل كينام أوبيب كاهن التراتيل وعابد الآلهة والملك. ومن الممكن تلخيص العمل بما يلي وهو ينص على ما قاله المتألم وصديقه:

المتألم: لقد كنت طفلاً وتوفيت والدتي وأنا طفل صغير فأصبحت يتيماً

الصديق: إن الموت هو مصير جميع البشر

المتألم: إن صحتي سيئة وإني رجل تعس وليست معنوياتي جيدة

الصديق: سوف تكافئ الآلهة جميع الأتقياء

المتألم: هناك أناس قد نجحوا وازدهرت حالتهم وهم ليسوا أتقياء ولكني كنت تقياً ولم أزدهر.

الصديق: نحن لا نفهم طرق الآلهة إذ إن الأرذال الذين يزدهرون مؤقتاً سوف ينالون ما يستحقونه أخيراً.

المتألم: إنه وطبقاً لملاحظاتني لا أرى القضية هكذا

الصديق: إنه من التجديف بحق الإله أن تشك بقرارات الإله (هناك أربع مقاطع شعرية مفقودة أو مصابة بضرر فظيع).

المتألم: هناك بعض المحاسن للمعيشة كالمثسول دون وجود التزامات تجاه المجتمع

الصديق: إن هذا جنون

وهكذا تستمر المحاوراة وهي تشكل نظرية الثواب والعقاب الإلهي ضد التجارب المشهورة للحياة الفعلية. ولكن يتفق المتحاوران أخيراً على الاعتقاد بأن الناس لا يتمتعون بالعدل وإنهم كذلك لأن الآلهة قد جعلتهم كذلك. وهنا نذكر ترجمة لإحدى الفقرات وهي عبارة عن مقدمة بلاغية للخطاب:

يا صديقي إن عقلك عبارة عن ينبوع ومصدر مائه لا ينقطع

وهي عبارة عن تراكمات ذلك البحر الهائل الذي لا حدود له.

سوف أقدم لك سؤالاً وأرجو أن تنتبه لما سأقوله:

انتبه لحظة، اصنع لكلماتي

إن بهائي وعظمتي الجسمانية قد أنهكت ويحيط بي الإحباط والحزن

ولقد مضى حظي بعيداً ومضت أيام هنائي
ولقد تحول حماسي إلى الضعف ولقد انتهت أيام بهائي
ولقد شوّه النواح والأحزان وجهي
ولم تعد الأغذية والمحاصيل من مزرعتي كافية لسد الرمق
ولم يعد النبيذ وهو حياة الإنسانية كافياً لسد حاجتي منذ زمن طويل
هل هناك وقت من أوقات الغفران قد رُتّب لي فأنا أرغب بالتوصل إليه.

وهناك عمل آخر من أشكال المحاورة ولكن من نوع مختلف وهو المعروف
بمحاورة التشاؤم، وهذا عبارة عن سلسلة من المحاورة ما بين سيد وأحد عبيده
وكان السيد يقترح في كل مرة السير ضمن نوع من العمل ولكن العبد يخالفه في
رأيه دوماً وفي الحال يبدأ السيد في تغيير كامل ومفاجئ في موقفه بالنسبة وبالمقارنة
مع كلام العبد الذي كان مستعداً دوماً لاتخاذ الموقف المخالف، ولكن وفي النهاية
يتخذ العبد رأياً مستقلاً. ولكن عندما سُئل عن العمل الواجب اتخاذه فعلاً كان
جوابه ما يلي:

أن يُكسر عنقي ويُكسر عنقك

ويلقى بالعنقين في النهر، هذا هو الصواب

وليس بالإمكان إنكار أنه كان هناك معنى لا يخلو من الفكاهة في هذا
العمل وربما كان ذا معنى بالهجاء ولكن كان هناك بعض الاعتبارات الفلسفية
مثلاً ما هو الغرض من هذه الحياة؟

أيها العبد حاول أن تجعل نفسك مقبولاً. نعم يا سيدي. نعم.

اذهب واجلب الماء لأغسل يدي واعطني الماء

«وذلك لكي أقوم بعمل أضحية لإلهي» «أفعل ذلك يا سيدي، افعل»

إذ إن الشخص الذي يقوم بعمل الأضاحي لإلهه فإن قلبه يظل مطمئناً

إذ إنه يقوم بفعل استثمار وبعده استثمار.

«كلا أيها العبد فإنني سوف لا أقوم بعمل أضحية لإلهي أبداً».

«لا تفعل ذلك يا سيدي، لا تفعل ذلك».

«وبالنسبة لإلهه فإنك تستطيع أن تدربه بحيث يظل يجري وراءك كالكلب».

سواءً كانت هذه طقوساً يريد منك إجراؤها أو أي شيء آخر.

وهناك نصوص تعليمية أخلاقية تتمثل في النصوص الأكادية والسومرية وهناك مثال نموذجي وهو ما يدعى «عظة الحكمة» وهي تتخذ شكل النصيحة من أب وربما كان وزيراً أو شخصية مرموقة إلى ولده ولا يعرف تاريخ هذه العظة ويقترح أن تكون زمن حكم البابليين القدماء أو الكاشيين القدماء. وتؤلف أنواع التعاليم الأخلاقية نصيحة عملية مؤسسة على الاعتبارات البراغماتية أكثر منها الأنظمة الأخلاقية، وفي هذه النصائح يحرضون الابن على تجنب رفقة السوء وذلك لئلا:

إذا أنت اجتبت العادات الحسنة، فإنك سوف تقع في مطبات وآراء الأشرار

وبهذا فسوف تنقص قيمة خدماتك وتتجنب طريق الصواب

وبذلك تسمح لعقلك الذي كان غزير الفهم وحساساً أن يصبح مشوهاً.

وينصح الابن أيضاً أن يحترس في كلامه ويتجنب الشتم والكذب والبُهتان وأن يتجنب التورط في إقامة الدعاوى القانونية ولا ينبغي أن يسمح لأمة أن تصبح سيدة البيت، ولا ينبغي أن يتزوج من إحدى عاهرات المعبد، حيث فضلاً عن أنها معتادة على استقبال رجال آخرين إلا أنها غير حنونة ومن الصعب الوصول إليها كزوجة. فإذا وضع قيماً على أموال سيده فينبغي أن يكون أميناً خوفاً من أن يكشف في آخر الأمر وفوق ذلك ينبغي أن يعبد الآلهة بانتظام ويقدم لهم الأضحيات الواجبة، فإنهم بدورهم سوف يكافئونه

ينبغي أن تقوم كل يوم بالصلاة والخضوع

وعندها فسوف يزيد أجرك

عمل الأضحيات يطيل العمر

والصلاة تزيل الآثام

وهناك أدب المقاومة الذي يعود إلى العهد السومري والذي يتمثل دوماً في الأدب الأكادي وهناك ستة أمثلة معروفة في الوقت الحاضر، وأفضلها هو قصة النضال ما بين شجرة الطرفاء وشجرة النخيل، ويبدأ العمل بمقدمة خرافية توضح الزمن والظروف التي خلق فيها المناضلان وبعد ذلك:

لقد غرس الملك شجرة النخيل في قصره

ومعها غرس شجرة الطرفاء

واقام وليمة تحت ظل شجرة الطرفاء

وعندها بدأت الشجرتان بالمنافسة فقالت شجرة النخيل

أنت يا شجرة الطرفاء شجرة عديمة الفائدة

ماذا تحمل أغصانك؟ الخشب دون الثمر

ولكن البستاني يمدحني ويتكلم بالأشياء الجميلة عني

ويقول إنني مفيدة للعبيد والأسياذ بوقت واحد

وهنا تقوم شجرة الطرفاء بوصف فوائد خشبها:

فكري بالمفروشات في قصر الملك

لا شيء سواي يوجد ويقدم في قصر الملك

فالملك يتناول الطعام على طاولتي

وتشرب الملكة من كأسني المصنوع من خشب الطرفاء

وإن معظم الأمثال الأكادية تتواجد في نصوص بلغتين بجانب الأصل السومري وهناك بعض الأمثلة:

الأمثال:

الرجل الجائع سوف يبحث في بيت مبني من الطوب
لا تسلّم رجلاً قطعة من الطين وهو يرمي كل شيء حوله دون تعقل
على بوابة بيت القاضي فإنّ المرأة الخاطئة أقوى من فم زوجها

التعاليم الأخلاقية:

لا تقم بفعل أي جريمة عندئذ فإن خوف الإله سوف لا يتعبك
لا تلفظ أي أقوال شريرة عندها فسوف لا يصيب الحزن قلبك
لا تفعل الشر عندها فسوف لا يصيبك أي مكروه دائم

الحكم والأمثال:

عندما تكون صالحاً فإن الإله سوف يكون معك
وعندما لا تكون صالحاً فإن إلهك سوف لا يكون معك.

المقالات المصغرة أو القصص:

عندما أتى الحصان القوي وركب أتاناً
وهمس في أذنيها
ينبغي أن يكون الفلو الذي في بطنك عداءً مثلي
ولا تجعله مثل الحمار الذي عليه أن يحمل السل الكبير فوق ظهره.

دخل النمس في مجرور للمياه القذرة ليهرب عن طريق الكلب
وعندما قفز الكلب علق في فوهة المجرور
وهكذا هرب النمس.

جلست بعوضة صغيرة على ظهر الفيل
وقالت يا أخي في الدم هل آذيتك وإذا كان الأمر كذلك فسوف انتقل بعيداً
فأجاب الفيل البعوضة:
أنا لا أعلم أنك تجلسين على ظهري ولا أعلم عندما تغادرين.